

کتاب مطالعة

للسنة الثالثة و الرابعة من المدارس الثانوية في يوغوسلاويا

تأليف

الدكتور شاكر سيقيريچ و محمد پاشيچ و محمد خانجيج

طبع على نفقة إدارة الأوقاف بسرای بوسنه

في مطبعة الحكومة بسرای بوسنه - ١٣٥٥ هـ و ١٩٣٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١

﴿مُنَجِّمٌ وَرَجُلٌ﴾

سَأَلَ مُنَجِّمٌ رَجُلًا عَنْ طَائِعِهِ فَقَالَ : تَيْسٌ . قَالَ : لَيْسَ
فِي السَّمَاءِ تَيْسٌ . قَالَ الرَّجُلُ : كَانَ يَقُولُ الْمُنَجِّمُونَ : الطَّالِعُ فِي
وِلَادَتِي جَدْيٌ وَ أَنَا صِرْتُ كَهَلًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَصِيرَ طَالِعِي تَيْسًا .

٢

﴿الْإِسْكَندَرُ وَالنِّسَاءُ﴾

قَصَدَ الْإِسْكَندَرُ مَوْضِعًا فَحَارَبَتْهُ النِّسَاءُ فَكَفَّ عَنْهُنَّ فَقَالَ :
إِنَّ هَذَا جَيْشٌ إِنْ غَلَبْنَاهُ مَا لَنَا مِنْ فَخْرٍ ، وَإِنْ كُنَّا مَغْلُوبِينَ
فَذَلِكَ فَضِيحَةٌ أَلَدَّهَرٍ .

٣

﴿أَعْرَابِيٌّ وَحَالُهُ﴾

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قَالَ : لَا كَمَا يَرْضَى اللَّهُ
تَعَالَى وَلَا الشَّيْطَانُ وَلَا أَنَا . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْضَى أَنْ أَكُونَ
عَابِدًا ، وَالشَّيْطَانُ أَنْ أَكُونَ كَافِرًا ، وَأَنَا أَرْضَى أَنْ أَكُونَ
مَرْذُوقًا ، وَلَسْتُ كَذَلِكَ .

﴿النَّحْوِيُّ وَالْمَلَّاحُ﴾

رَكِبَ نَحْوِيُّ سَفِينَةً فَقَالَ لِلْمَلَّاحِ : أَتَعْرِفُ النَّحْوِيَّ؟ قَالَ :
لَا . قَالَ : ذَهَبَ نِصْفُ عُمرِكَ . فَهَاجَتِ الرِّيحُ وَأُضْطَرَّتِ السَّفِينَةُ
فَقَالَ الْمَلَّاحُ : أَتَعْرِفُ السِّبَاحَةَ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : ذَهَبَ كُلُّ عُمرِكَ .

٥

﴿إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ وَالْغَنِيُّ﴾

قَالَ رَجُلٌ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ : أَقْبِلْ مِنِّي هَذِهِ الْجُبَّةُ . قَالَ :
إِنْ كُنْتُ غَنِيًّا قَبْلَتُهَا مِنْكَ . فَقَالَ : أَنَا غَنِيٌّ . قَالَ : كَمْ مَالُكَ؟
قَالَ : أَلْفَانِ . قَالَ : أَيْسُرُكَ أَنْ يَكُونَ أَرْبَعَةُ آلَافٍ؟ قَالَ :
نَعَمْ . قَالَ : أَنْتَ فَقِيرٌ لَا أَقْبِلُهَا مِنْكَ .

٦

﴿الْأَلِصُّ وَالْفَقِيرُ﴾

دَخَلَ لِصٌّ عَلَى بَعْضِ الْفُقَرَاءِ فَفَتَّشَ أَلْبَيْتَ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ
شَيْئًا فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قَالَ صَاحِبُ أَلْبَيْتِ : إِذَا خَرَجْتَ فَأَغْلِقِ
أَلْبَابَ . قَالَ الْأَلِصُّ : مِنْ كَثَرَةِ مَا أَخَذْتُ مِنْ بَيْتِكَ تَسْتَخْدِمُنِي!

﴿اللُّصُوصُ وَأَبُو بَكْرِ الرَّبَّانِيُّ﴾

دَخَلَ اللَّصُوصُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الرَّبَّانِيِّ يَطْلُبُونَ شَيْئًا .
وَرَأَاهُمْ يَدُورُونَ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ : يَا فِتْيَانُ ، هَذَا الَّذِي تَطْلُبُونَهُ
فِي اللَّيْلِ قَدْ طَلَبْنَاهُ فِي النَّارِ فَمَا وَجَدْنَاهُ ، فَضَحِكُوا وَخَرَجُوا .

﴿سَيِّدُنَا عُمَرُ وَعَامِلُهُ﴾

دَخَلَ عَامِلٌ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَوَجَدَهُ مُسْتَأَقِيًا وَ
صَبِيَانُهُ يَلْعَبُونَ عَلَى بَطْنِهِ . فَأَنْكَرَ ذَلِكَ فَقَالَ عُمَرُ : كَيْفَ
أَنْتَ مَعَ أَهْلِكَ ؟ قَالَ : إِذَا دَخَلْتُ سَكَتَ النَّاطِقُ . فَقَالَ :
أَعْتَزِلُ فَإِنَّكَ لَا تَرْفُقُ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ فَكَيْفَ تَرْفُقُ بِأُمَّةٍ
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

﴿ضِيَافَةُ الْأَهْدُهُدِ﴾

قِيلَ إِنَّ الْأَهْدُهُدَ قَالَ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنِّي أُرِيدُ
أَنْ تَكُونَ فِي ضِيَافَتِي . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : أَنَا وَحْدِي ؟ فَقَالَ :
لَا ، بَلْ أَنْتَ وَالْعَسْكَرُ فِي جَزِيرَةٍ كَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا . فَمَضَى

سَائِيَانُ وَجُنُودُهُ إِلَى هُنَاكَ وَصَعِدَ أَلهُذُهُ إِلَى الْجَوِّ وَصَادَ
جَرَادَةٌ وَكَسَرَهَا وَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ وَقَالَ : كُلُوا ، فَمَنْ فَاتَهُ
اللَّحْمُ لَمْ تَفُتْهُ الْمَرْقَةُ . فَضَحِكَ سَائِيَانُ وَجُنُودُهُ . وَ أَخَذَهُ
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ :

وَ كُنْ قَنُوعًا فَقَدْ جَرَى مِثْلُ . إِنْ فَاتَكَ اللَّحْمُ فَاشْرَبِ الْمَرْقَةَ .

١٠

❦ كِلَابٌ وَ ثَعْلَبٌ ❦

أَصَابَ الْكِلابُ مَرَّةً جِلْدَ سَبْعٍ فَأَقْبَلُوا يَنْهَشُونَهُ ، فَبَصُرَ
بِهِمُ الثَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُمْ : أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا لَرَأَيْتُمْ مَخَالِيهَ
كَأَنِّيَابِكُمْ وَأَطْوَلَ .

(مَغْزَاهُ) : أَلْنَهَى عَنِ الشَّمَاتَةِ بِالمَوْتِ .

١١

❦ أَلَوْزٌ وَالْخُطَّافُ ❦

أَلَوْزٌ وَالْخُطَّافُ تَشَارَكَا فِي الْمَعِيشَةِ فَكَانَ مَرْعَاهُمَا فِي
مَحَلٍّ وَاحِدٍ . فَمَرَّ بِهِمَا الصَّيَّادُونَ يَوْمًا . فَمَا كَانَ مِنَ الْخُطَّافِ إِلَّا
أَنْ طَارَ وَسَلِمَ . فَاِمَّا أَلَوْزٌ فَأَذْرَكَ وَذُبِجَ .

(مَغْزَاهُ) : مَنْ عَاشَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ أَحَاقَ بِهِ السُّوءُ .

﴿ قِطُّ ﴾

دَخَلَ قِطُّ مَرَّةً دُكَانَ حَدَّادٍ فَأَصَابَ الْمِبْرَدَ فَأَقْبَلَ يَلْحَسُهُ
بِلِسَانِهِ وَأَلَدَمَ يَسِيلُ مِنْهُ وَهُوَ يَبْلَعُهُ وَيَظْنُهُ مِنَ الْمِبْرَدِ إِلَى
أَنْ فَنِيَ لِسَانُهُ فَمَاتَ .

(مَغْزَاهُ) : الْجَاهِلُ لَا يُفِيْقُ مِنْ جَهْلِهِ مَا دَامَ الطَّمَعُ
غَالِبًا عَلَيْهِ .

﴿ صَبِيٌّ وَعَقْرَبٌ ﴾

كَانَ صَبِيٌّ يَصِيدُ الْجُرَادَ مَرَّةً فَنَظَرَ عَقْرَبًا فَظَنَّهَا جُرَادَةً ،
فَمَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَهَا ثُمَّ تَبَاعَدَ عَنْهَا . فَقَالَتْ لَهُ : لَوْ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي
بِيَدِكَ لَتَخَلَّيْتَ عَنْ صَيْدِ الْجُرَادِ .

(مَغْزَاهُ) : أَنَّ سَبِيلَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
وَيُدَبِّرَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَدْبِيرًا عَلَى حَدِّتِهِ .

﴿ النُّمُوسُ وَالْدَّجَاجُ ﴾

بَلَغَ النُّمُوسَ أَنَّ الدَّجَاجَ قَدْ مَرَضُوا ، فَلَبِسُوا جُلُودَ طَوَاوِيسَ
وَأَتَوْا لِيَزُورُوهُمْ ، فَقَالُوا لَهُمْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الدَّجَاجُ .

كَيْفَ أَنْتُمْ وَكَيْفَ أَحْوَالُكُمْ ؟ فَقَالُوا : إِنَّا بِخَيْرِ يَوْمٍ لَا نَرَى
وُجُوهَكُمْ .

(مَنْزَاهُ) : أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُظْهِرُونَ الْمَحَبَّةَ وَ يُبْطِنُونَ
الْبَغْضَاءَ .

١٥

﴿ إِنْسَانٌ وَأَلْمُوتُ ﴾

حَمَلَ إِنْسَانٌ مَرَّةً جُرْزَةً حَطَبٍ . فَثَقُلَتْ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَعْيَا
وَصَجَرَ مِنْ حَمْلِهَا رَمَى بِهَا عَنْ كَتِفِهِ وَ دَعَا عَلَى رُوحِهِ بِالْمَوْتِ .
فَشَخَصَ لَهُ أَلْمُوتُ قَائِلًا : هَا أَنَاذَا . لِمَ دَعَوْتَنِي ؟ فَقَالَ لَهُ
الْإِنْسَانُ : دَعَوْتُكَ لِتُحَوِّلَ هَذِهِ الْجُرْزَةَ مِنَ الْحَطَبِ عَلَى كَتِفِي .
(مَنْزَاهُ) : أَنَّ أَلْعَالَمَ بِأَسْرِهِ يُجِبُّ الدُّنْيَا وَ إِنَّمَا يَمْلُ مِنَ
الضُّعْفِ وَالشَّقَاءِ .

١٦

﴿ قِطَّتَانِ وَالْقِرْدُ ﴾

اِخْتَطَفَتْ قِطَّتَانِ جُبْنَةً وَ ذَهَبَتَا بِهَا إِلَى قِرْدٍ لِكَيْ يَقْسِمَهَا
بَيْنَهُمَا . فَاقْسَمَهَا إِلَى قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الثَّانِي وَ وَضَعَهُمَا
فِي مِيزَانِهِ . فَرَجَحَ الْأَكْبَرُ . فَأَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِأَسْنَانِهِ وَ هُوَ
يُظْهِرُ أَنَّهُ يُرِيدُ مُسَاوَاتَهُ بِالْأَصْغَرِ . وَلَكِنْ إِذْ كَانَ مَا أَخَذَهُ
مِنْهُ هُوَ أَكْثَرُ مِنَ الْإِلَازِمِ رَجَحَ الْأَصْغَرُ فَفَعَلَ بِهَذَا مَا فَعَلَهُ

بِذَلِكَ . ثُمَّ فَعَلَ بِذَلِكَ مَا فَعَلَهُ بِهَذَا . وَهَكَذَا حَتَّى كَادَ يَذْهَبُ
بِالْجُبْنَةِ . فَقَالَتْ لَهُ أَلْقِطَتَانِ : نَحْنُ رَضِينَا بِهَذِهِ الْقِسْمَةِ فَأَعْطَانَا
الْجُبْنَةَ . فَقَالَ : إِذَا كُنْتُمَا أَنْتُمَا رَضِيْتُمَا فَإِنَّ الْعَدْلَ لَا يَرْضَى .
وَمَا زَالَ يَقْضِمُ الْقِسْمَ الرَّاجِحَ مِنْهُمَا كَذَلِكَ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِمَا
جَمِيعًا . فَرَجَعَتِ أَلْقِطَتَانِ بِحُزْنٍ وَخَيْبَةٍ وَهُمَا تَقُولَانِ :
وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ فَوْقَهَا . وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيُجْزَى بِأَظْلَمِ .

١٧

❖ صَائِدٌ وَعُصْفُورٌ ❖

كَانَ صَائِدٌ يَصِيدُ الْعَصَافِيرَ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ . فَكَانَ يَذْبُحُهَا
وَالدُّمُوعُ تَسِيلُ . فَقَالَ عُصْفُورٌ لِصَاحِبِهِ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْ
الرَّجُلِ . أَمَا تَرَاهُ يَبْكِي ؟ فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ : لَا تَنْظُرْ دُمُوعَهُ
وَأَنْظُرْ مَا تَصْنَعُ يَدَاهُ .

١٨

❖ أَسْوَدٌ ❖

أَقْبَلَ أَسْوَدٌ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ يَأْخُذُ الثَّلْجَ وَيَفْرُكُهُ بِهِ
بَدَنَهُ . فَبَقِيلَ لَهُ : لِمَاذَا ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : لَعَلِّي أَبْيَضُ . فَقَالَ
لَهُ حَكِيمٌ : يَا هَذَا لَا تُتْعِبْ نَفْسَكَ فَرُبَّمَا أَسْوَدَ الثَّلْجُ مِنْ
جِسْمِكَ وَهُوَ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ .

(مَعْنَاهُ) : أَنَّ الشَّرِيرَ يَقْدِرُ أَنْ يُفْسِدَ الْخَيْرَ وَ قَلِيلًا مَا

يُصَاحُّهُ الْخَيْرُ .

﴿ ثَعْلَبٌ وَ طَبْلٌ ﴾

﴿ وَ هُوَ مِثْلُ مَنْ يَسْتَكْبِرُ الشَّيْءَ حَتَّى يُجْبِرَ بِهِ فَيَسْتَصْغِرُهُ ﴾

زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَبًا أَتَى أَجْمَةً فِيهَا طَبْلٌ مُعَلَّقٌ عَلَى شَجَرَةٍ . وَ

كَلَّمَا هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى قُضْبَانِ الشَّجَرَةِ حَرَّكَتَهَا فَضَرَبَتْ الطَّبْلَ فَسَمِعَ

لَهُ صَوْتُ عَظِيمٌ . فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ نَحْوَهُ لِمَا سَمِعَ مِنْ عَظِيمِ

صَوْتِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ وَجَدَهُ ضَخْمًا فَأَيَّقَنَ فِي نَفْسِهِ بكَثْرَةِ

الشَّحْمِ وَاللَّحْمِ فَعَالَجَهُ حَتَّى شَقَّهُ . فَلَمَّا رَأَاهُ أَجُوفًا لَا شَيْءَ

فِيهِ قَالَ : لَا أَدْرِي لَعَلَّ أَفْشَلَ الْأَشْيَاءِ أَجْهَرُهَا صَوْتًا وَ

أَعْظَمُهَا جُثَّةً .

﴿ أَسَدٌ وَ ثَعْلَبٌ وَ ذَيْبٌ ﴾

﴿ وَ هُوَ مِثْلُ مَنْ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ وَ اعْتَبَرَ بِهِ ﴾

إِصْطَحَبَ أَسَدٌ وَ ثَعْلَبٌ وَ ذَيْبٌ . فَخَرَجُوا يَتَصَيَّدُونَ .

فَصَادُوا حِمَارًا وَ أَرْنَبًا وَ ظَبْيًا . فَقَالَ الْأَسَدُ لِلذَّيْبِ أَقْسِمُ بَيْنَنَا .

فَقَالَ : الْأَمْرُ بَيْنَ . الْحِمَارِ لِلْأَسَدِ وَ الْأَرْنَبِ لِلثَّعْلَبِ وَ الظَّبْيِ لِي .

فَخَبَطَهُ الْأَسَدُ فَأَطَارَ رَأْسَهُ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الثَّعْلَبِ وَقَالَ : مَا كَانَ أَجْهَلَ صَاحِبِكَ بِالْقِسْمَةِ . هَاتِ أَنْتَ ! فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَارِثِ ! الْأَمْرُ وَاضِحٌ . الْحِمَارُ لِنَعْدَائِكَ وَالظَّبْيُ لِعِشَائِكَ وَتَخَلَّلَ بِالْأَرْنَبِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مَا أَقْضَاكَ ! مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا الْفِقْهَ ؟ فَقَالَ : رَأْسُ الذِّئْبِ الطَّائِرُ مِنْ جُثَّتِهِ .

٢١

❦ مَثَلُ فَارَةِ الْبَيْتِ وَفَارَةِ الصَّحْرَاءِ ❦

قِيلَ : إِنَّ فَارَةَ الْبُيُوتِ رَأَتْ فَارَةَ الصَّحْرَاءِ فِي شِدَّةٍ وَمِحْنَةٍ . فَقَالَتْ لَهَا : مَا تَصْنَعِينَ هَهُنَا ؟ أَذْهَبِي إِلَى الْبُيُوتِ الَّتِي فِيهَا أَنْوَاعُ النَّعِيمِ وَالْخِصْبِ . فَذَهَبَتْ مَعَهَا . وَإِذَا صَاحِبُ الْبَيْتِ الَّذِي كَانَتْ تَسْكُنُهُ قَدْ هَيَّأَ لَهَا الرِّصْدَ لِبَيْتِهِ تَحْتَهَا شَحْمَةٌ . فَأَقْتَحَمَتْ لِتَأْخُذَ الشَّحْمَةَ فَوَقَعَتْ عَلَيْهَا اللَّبَنَةُ فَحَطَّمَتْهَا . فَهَرَبَتْ الْفَارَةُ الْبَرِّيَّةُ وَهَزَّتْ رَأْسَهَا مُتَعَجِّبَةً وَقَالَتْ : أَرَى نِعْمَةً كَثِيرَةً وَبَلَاءً شَدِيدًا . أَلَا إِنَّ الْعَافِيَةَ وَالْفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ غِنَى يَكُونُ فِيهِ الْمَوْتُ . ثُمَّ فَرَّتْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ .

٢٢

❦ خُنْفَسَةٌ وَنَحْلَةٌ ❦

قَالَتْ خُنْفَسَةٌ مَرَّةً لِنَحْلَةٍ : لَوْ أَخَذْتَنِي مَعَكَ لَعَسَلْتُ مِثْلَكَ وَأَكْثَرَ . فَأَجَابَتْهَا النَّحْلَةُ إِلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى وِفَاءِ مَا

قَالَتْ ضَرَبَتْهَا النُّحْلَةُ بِحُمَتِهَا . وَفِيهَا هِيَ تَمُوتُ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا :
لَقَدْ أُسْتَوْجِبْتُ مَا نَالَني مِنَ السُّوءِ . فَإِنِّي لَا أَحْسِنُ الزَّفَّتَ
فَكَيْفَ بِالْعَسَلِ .

(مَغْزَاهُ) : أَنَّ أَنْاسًا كَثِيرِينَ يَدْعُونَ مَا لَا يَنْبَغِي لَهُمْ
فَتَنْفُضِحُ عَاقِبَتَهُمْ .

﴿مَثَلُ الْخَنَزِيرِ وَالْأَتَانِ﴾

كَانَ عِنْدَ رُومِيٍّ خَنَزِيرٌ فَرَبَطَهُ إِلَى أُسْطُوَانَةٍ وَوَضَعَ الْعَلْفَ
بَيْنَ يَدَيْهِ لِيَسْمِنَهُ . وَكَانَ بِجَنْبِهِ أَتَانٌ لَهَا جَحْشٌ . وَكَانَ ذَلِكَ
الْجَحْشُ يَلْتَقِطُ مِنَ الْعَلْفِ مَا يَتَنَاثَرُ . فَقَالَ لِأُمِّهِ : يَا أُمَّاهُ ! مَا
أَطِيبَ هَذَا الْعَلْفَ لَوْدَامَ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا بُنَيَّ لَا تَقْرَبْهُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ
الطَّامَّةَ الْكُبْرَى . فَلَمَّا أَرَادَ الرُّومِيُّ أَنْ يَذْبَحَ الْخَنَزِيرَ وَوَضَعَ
السِّكِّينَ عَلَى حَاقِهِ جَعَلَ يَضْطَرِبُ وَيَنْفُخُ . فَهَرَبَ الْجَحْشُ وَأَتَى
إِلَى أُمِّهِ وَأَخْرَجَ لَهَا أَسْنَانَهُ وَقَالَ : وَيْحَكَ يَا أُمَّاهُ أَنْظِرِي هَلْ
بَقِيَ فِي خِلَالِ أَسْنَانِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَلْفِ فَأَقْلَعِيهِ . فَمَا أَحْسَنَ
الْقَنَعَ مَعَ السَّلَامَةِ !

﴿ كَلْبٌ وَشَوْحَةٌ ﴾

خَطَفَ كَلْبٌ مَرَّةً بُضْعَةً لَحْمٍ مِنَ الْمَسَاخِرِ وَ نَزَلَ يَخْوُضُ
فِي النَّهْرِ . فَنَظَرَ ظِلَّهَا فِي الْمَاءِ وَ إِذَا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أَلَّتِي مَعَهُ .
فَرَمَى أَلَّتِي مَعَهُ فَأَنحَدَرَتْ شَوْحَةٌ فَأَخَذَتْهَا . وَ جَعَلَ الْكَلْبُ
يَجْرِي فِي طَلَبِ الْكَبِيرَةِ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئاً . فَرَجَعَ فِي طَلَبِ أَلَّتِي
كَانَتْ مَعَهُ فَلَمْ يُصِبْهَا . فَقَالَ : وَيْحِي ، أَنَا الَّذِي أَلْقَيْتُ نَفْسِي
فِي الْغُرُورِ . لِأَنِّي ضَيَّعْتُ مَا كَانَ تَحْتَ يَدِي . وَسَعَيْتُ فِي طَلَبِ
مَا لَيْسَ هُوَ تَحْتَ يَدِي وَ لَا يَصْلُحُ لِي :
(مَعْرَاهُ) : لَا يَذْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتْرَكَ شَيْئاً قَلِيلاً مَوْجُوداً
وَ يَطْلُبَ شَيْئاً كَثِيراً مَفْقُوداً .

﴿ أَرَانِبٌ وَ ثَعَالِبٌ ﴾

الْأُسُورُ مَرَّةً وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْأَرَانِبِ حَرْبٌ . فَمَضَتْ
الْأَرَانِبُ إِلَى الثَّعَالِبِ يَسُومُونَ مِنْهُمْ الْحِلْفَ وَالْمُعَاصِدَةَ عَلَى
الْأُسُورِ . فَقَالُوا لَهُمْ : لَوْلَا أَنْ عَرَفْنَاكُمْ وَ لَوْ لَا أَنَّنَا نَعْلَمُ لِمَنْ
تُحَادِبُونَ لَفَعَلْنَا ذَلِكَ .

(مَعْنَاهُ) : أَنْ سَبِيلَ الْإِنْسَانِ إِلَّا يُحَارِبَ مَنْ هُوَ أَشَدُّ

بَأْسًا مِنْهُ .

﴿ غَزَالٌ وَ ثَعْلَبٌ ﴾

عَطِشَ غَزَالٌ مَرَّةً فَجَاءَ إِلَى عَيْنِ مَاءٍ يَشْرَبُ وَكَانَ أُلْمَاءُ
فِي جُبٍّ عَمِيقٍ . فَتَزَلَّ وَ شَرِبَ ثُمَّ إِنَّهُ حَاوَلَ الطُّلُوعَ فَلَمْ يَقْدِرْ
فَنَظَرَهُ الثَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي أَسَأْتَ فِي فِعْلِكَ إِذْ لَمْ تُمَيِّزْ
طُلُوعَكَ قَبْلَ نُزُولِكَ .

﴿ أَسَدٌ وَ ثَوْرٌ ﴾

أَرَادَ أَسَدٌ مَرَّةً أَنْ يَفْتَرِسَ ثَوْرًا فَلَمْ يَجِسُرْ عَلَيْهِ لِشِدَّتِهِ .
فَمَضَى إِلَيْهِ مُتَمَلِّقًا قَائِلًا : قَدْ ذَبَحْتُ خُرُوفًا سَمِينًا وَأَشْتَهِي أَنْ
تَأْكُلَ عِنْدِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ مِنْهُ . فَأَجَابَهُ الثَّوْرُ إِلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا
وَصَلَ إِلَى الْعَرِينِ وَ نَظَرَهُ فَإِذَا الْأَسَدُ قَدْ أَعَدَّ حَطْبًا كَثِيرًا وَخَلَاقِينَ
كِبَارًا فَوَلَّى هَارِبًا . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مَا لَكَ وَلَيْتَ بَعْدَ مَجِيئِكَ إِلَى
هُنَا . فَقَالَ لَهُ الثَّوْرُ : لِأَنِّي عَامِتٌ أَنْ هَذَا الْأُسْتِعْدَادُ لِمَا هُوَ
أكْبَرُ مِنَ الْخُرُوفِ .

(مَعْنَاهُ) : أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يُصَدِّقَ عَدُوَّهُ .

﴿ كَلْبَانِ ﴾

كَانَ مَرَّةً فِي دَارِ أَصْحَابِ كَلْبٍ دَعْوَةٌ . فَخَرَجَ الْكَلْبُ إِلَى
السُّوقِ فَلَقِيَ كَلْبًا آخَرَ . فَقَالَ لَهُ : أَعْلَمُ أَنَّ عِنْدَنَا الْيَوْمَ دَعْوَةٌ .
فَأَمْضِ بِنَا لِنَقْصِفَ الْيَوْمَ جَمِيعًا فَمَضَى مَعَهُ . فَدَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَطْبَخِ .
فَلَمَّا نَظَرَهُ الْخُدَّامُ قَبَضَ أَحَدُهُمْ عَلَى ذَنَبِهِ وَرَمَى بِهِ مِنَ الْحَائِطِ إِلَى
خَارِجِ الدَّارِ فَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ انْتَفَضَ مِنَ التُّرَابِ
فَرَأَاهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا : أَيْنَ كُنْتَ الْيَوْمَ ؟ أَكُنْتَ تَقْصِفُ .
فَإِنَّا نَرَاكَ مَا خَرَجْتَ الْيَوْمَ تَذَرِي كَيْفَ الطَّرِيقُ .
(مَعْنَاهُ) : أَنَّ كَثِيرِينَ يَتَطَفَّلُونَ فَيَخْرُجُونَ مَطْرُودِينَ بَعْدَ
الِاسْتِخْفَافِ بِهِمْ وَالْهَوَانِ .

﴿ نَاسِكَ وَمُحْتَالُونَ ﴾

﴿ وَهُوَ مِثْلُ مَنْ صَدَّقَ الْكَذُوبَ الْمُحْتَالَ فَكَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكَاً اشْتَرَى عَرَبِيًّا ضَخْمًا لِيَجْعَلَهُ قُرْبَانًا .
وَأَنْطَلَقَ بِهِ يَهْدُوهُ . فَبَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ الْمَكْرَةِ فَأَتَمَرُوا بَيْنَهُمْ
أَنْ يَأْخُذُوهُ مِنْهُ . فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : مَا هَذَا الْكَلْبُ الَّذِي
مَعَكَ ؟ ثُمَّ عَرَضَ لَهُ آخَرُ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : مَا هَذَا نَاسِكَاً ، لِأَنَّ

النَّاسِكَ لَا يَقُودُ كَلْبًا . فَلَمْ يَزَالُوا مَعَهُ عَلَى هَذَا وَ مِثْلِهِ حَتَّى لَمْ
يَشْكُ أَنَّ الَّذِي يَقُودُهُ كَلْبٌ وَ أَنَّ الَّذِي بَاعَهُ لَهُ سَحَرَ عَيْنَيْهِ .
فَأُطْلِقَهُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ الْمُحْتَالُونَ وَ مَضَوْا بِهِ .

٣٠

❦ إِنْسَانٌ وَ أَسَدٌ وَ دُبٌّ فِي بَيْتٍ ❦

حُكِيَ أَنَّ إِنْسَانًا هَرَبَ مِنَ الْأَسَدِ فَوَقَعَ فِي بَيْتٍ . وَ وَقَعَ
الْأَسَدُ عَلَيْهِ فَرَأَى الْأَسَدُ فِي الْبَيْتِ دُبًّا . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ :
كَمْ لَكَ هَهُنَا ؟ فَقَالَ لَهُ : مَنذُ أَيَّامٍ وَ قَدْ قَتَانِي الْجُوعُ . فَقَالَ لَهُ :
دَعْنَا نَأْكُلَ هَذَا الْإِنْسَانَ وَ قَدْ كُفِينَا الْجُوعَ . فَقَالَ لَهُ : وَ إِذَا
عَاوَدَنَا الْجُوعُ مَرَّةً أُخْرَى فَمَاذَا نَصْنَعُ ؟ وَلَكِنَّ الْأُولَى أَنَّنَا نَحْلِفُ
لَهُ أَنْ لَا نُؤْذِيَهُ . فَيَحْتَالُ فِي خَلَاصِنَا لِأَنَّهُ أَقْدَرُ مِنَّا عَلَى الْحِيلَةِ .
فَحَلَفَا لَهُ فَأَحْتَالَ حَتَّى خَلَصَ وَ خَلَصَهُمَا . فَكَانَ نَظَرُ الدُّبِّ
أَكْمَلَ مِنْ نَظَرِ الْأَسَدِ .

٣١

❦ ثَعْلَبٌ وَ ضَبْعٌ ❦

حُكِيَ أَنَّ الثَّعْلَبَ أُطْلِعَ فِي بَيْتٍ وَ هُوَ عَاطِشٌ وَ عَلَيْهَا رِشَاءٌ
فِي طَرَفِهِ دَلْوَانِ . فَقَعَدَ فِي الدَّلْوِ الْعُلْيَا فَأَنْحَدَرَتْ فَشَرِبَ . فَجَاءَتْ
الضَّبْعُ فَأُطْلِعَتْ فِي الْبَيْتِ فَأَبْصَرَتْ الْقَمَرَ فِي الْمَاءِ مُتَّصِفًا وَ الثَّعْلَبُ

قَاعِدُ فِي قَعْرِ الْبَيْرِ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا تَصْنَعُ هُنَا ؟ فَقَالَ لَهَا إِنِّي
 أَكَلْتُ نِصْفَ هَذِهِ الْجُبْنَةِ وَبَقِيَ نِصْفُهَا لَكَ فَأَنْزِلِي فَكُلِيهَا .
 فَقَالَتْ : وَكَيْفَ أَنْزِلُ ؟ قَالَ : تَقْعُدِينَ فِي الدَّلْوِ . فَقَعَدَتْ فِيهَا
 فَأَنْحَدَرَتْ وَارْتَفَعَ الثَّلَبُ فِي الدَّلْوِ الْأُخْرَى . فَلَمَّا اتَّقَيَا فِي وَسْطِ
 الْبَيْرِ قَالَتْ لَهُ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : كَذَا التُّجَّارُ تَخْتَلِفُ . فَضَرَبَتْ
 بِهِمَا الْعَرَبُ الْمَثَلَ فِي الْمُخْتَلَفَيْنِ .

٣٢

❦ إِنْسَانٌ وَأَسَدٌ وَدُبٌّ ❦

حُكِيَ أَنَّ إِنْسَانًا هَرَبَ مِنْ أَسَدٍ فَأَلْتَجَأَ إِلَى شَجَرَةٍ فَصَعِدَ
 عَلَيْهَا . وَإِذَا فَوْقَهَا دُبٌّ يَلْقُطُ ثَمَرَهَا . فَجَاءَ الْأَسَدُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
 ثُمَّ أَقْتَرَشَ يَنْتَظِرُ نَزُولَ الْإِنْسَانِ . فَأَلْتَفَتَ الرَّجُلُ إِلَى الدُّبِّ فَإِذَا
 هُوَ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِإِصْبَعِهِ عَلَى فَمِهِ أَنَّ أَسَدًا لَيْسَ يَشْعُرُ بِالْأَسَدِ أَنِّي
 هُنَا . فَتَحِيرَ الرَّجُلُ وَكَانَ مَعَهُ سِكِّينٌ لَطِيفٌ فَأَخَذَ يَقْطَعُ الْغُصْنَ
 الَّذِي عَلَيْهِ الدُّبُّ حَتَّى أَتَاهُ . فَوَقَعَ الدُّبُّ عَلَى الْأَرْضِ فَوَثَبَ
 عَلَيْهِ الْأَسَدُ فَتَصَارَعَا فَأَقْتَرَسَ الْأَسَدُ الدُّبَّ وَكَرَّ رَاجِعًا وَنَجَّى الرَّجُلُ .

٣٣

❦ حِمَارٌ وَثَوْرٌ ❦

زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لِبَعْضِهِمْ حِمَارٌ قَدْ أَبْطَرَتْهُ الرَّاحَةُ وَثَوْرٌ قَدْ
 أَذَلَّهُ التَّعَبُ . فَشَكَا الثَّوْرُ أَمْرَهُ يَوْمًا إِلَى الْحِمَارِ وَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ

يَا أَخِي أَنْ تَنْصَحَنِي بِمَا يُرِيحُنِي مِنْ تَعَبِي هَذَا الشَّدِيدِ؟ فَقَالَ لَهُ
 الْحِمَارُ: تَمَارِضْ وَلَا تَأْكُلْ عِلْفَكَ فَإِذَا كَانَ الصَّبَاحُ وَرَأَى
 صَاحِبَنَا هَكَذَا تَرَكَكَ وَلَمْ يَأْخُذْكَ لِلْجِرَاثَةِ فَتَسْتَرِيحُ. قَالُوا:
 وَكَانَ صَاحِبُهُمَا يَفْهَمُ لِسَانَ الْحَيَوَانَاتِ فَفَهِمَ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا مِنْ
 الْحَدِيثِ. ثُمَّ إِنَّ الثَّورَ أَخَذَ بِنَصِيحَةِ الْحِمَارِ وَعَمِلَ بِمُوجِبِهَا. وَلَمَّا
 أَقْبَلَ الصَّبَاحُ حَضَرَ صَاحِبُهُمَا فَرَأَى الثَّورَ غَيْرَ آكِلٍ عِلْفَهُ فَتَرَكَهُ
 وَأَخَذَ الْحِمَارَ بَدَلَهُ. وَحَرِثَ عَلَيْهِ كُلَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى كَادَ يَمُوتُ
 تَعَبًا. فَتَدِمَ عَلَى نَصِيحَتِهِ لِلثَّورِ. وَلَمَّا رَجَعَ عِنْدَ الْمَسَاءِ قَالَ لَهُ الثَّورُ:
 كَيْفَ حَالُكَ يَا أَخِي؟ فَقَالَ: بِخَيْرٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ الْيَوْمَ مَا قَدْ
 هَانَنِي عَلَيْكَ. فَقَالَ لَهُ الثَّورُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ الْحِمَارُ: سَمِعْتُ
 صَاحِبَنَا يَقُولُ إِذَا بَقِيَ الثَّورُ هَكَذَا مَرِيضًا يَجِبُ ذَبْحُهُ لِئَلَّا
 نَخْسَرَ ثَمَنَهُ. فَالرَّأْيُ الْآنَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى عَادَتِكَ وَتَأْكُلْ
 عِلْفَكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِكَ هَذَا الْأَمْرُ الْعَظِيمُ. فَقَالَ لَهُ الثَّورُ:
 صَدَقْتَ. وَقَامَ لِلْحَالِ إِلَى عِلْفِهِ فَأَكَلَهُ. فَعِنْدَ ذَلِكَ ضَحِكَ صَاحِبُهُمَا.
 (مَغْزَاهُ): مَنْ كَانَ قَلِيلَ الرَّأْيِ عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ
 وَبَالًا عَلَيْهِ.

الدُّبَّةُ وَصَاحِبُهَا

اصْطَادَ رَجُلٌ دُبَّةً وَصَادَ يُطْعِمُهَا وَيَسْقِيهَا حَتَّى أَلْفَتْهُ. وَ
 كَانَتْ تُسَاعِدُهُ فِي أَعْمَالِهِ وَتَذْهَبُ لِلصَّيْدِ. وَتُحْضِرُ لَهُ مَا تَصْطَادُهُ.

وكانت تحرُّسه إذا نامَ فتمنعُ عنه ما يؤذيه . وفي ذاتِ يومٍ نامَ
الرجلُ وكانت الدُّبَّةُ بجانيه تحرُّسه كعادتها . فجاءت ذُبابَةٌ ووقعتُ
على وجهه فطردتها . فعادت ثانية . وكانت كلما طردتها تعودُ و
تقعُ على وجه صاحبها . فأغتاظت منها الدُّبَّةُ وأخذت حَجَرًا وألقته
عليها . فجاء الحجرُ على وجه صاحبها فمات .
وهكذا يفعلُ الصديقُ الجاهلُ .

٣٥

❦ مَادِحُ نَفْسِهِ كَذَابٌ ❦

مرَّ رجلانِ في أجمَةٍ كثيرةِ الأشجارِ . فرأى أحدهما على
الأرضِ آثارَ أَقْدَامِ السِّبَاعِ . فقال لرفيقه إِنَّهُ يَخْشَى أَنْ يُخْرِجَ
عليهما سَبْعٌ فيقتلُهما ، وليسَ معهما سلاحٌ يُدَافِعانِ به عن نفسيهما .
فقال الآخرُ : لا تَخَفْ ما دُمْتُ أنا معَكَ . وأنت تعلم مَبْلَغَ شجاعتي
وقوتي و و ما كادَ يُتِمُّ كلامه حتَّى سَمِعَا صوتَ دُبٍّ آتِيًا ،
فترَكَ ذلكَ المدَّعى رفيقه . وجَرى نحوَ شَجَرَةٍ وصَعِدَ إلى قِمَّتِهَا
هَرَبًا مِنَ الدَّبِّ . وأما الآخرُ فاستأقَى على الأرضِ و كَتَمَ نَفْسَهُ .
ولَمَّا جاءَ الدَّبُّ دَارَ حَوْلِهِ يَشُمُّ بَدَنَهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ نَفْسًا . فظَنَّ
أَنَّهُ مَيِّتٌ وَتَرَكَهُ وَانصَرَفَ . لأنَّه لا يأكلُ الميتةَ .

و بعدَ أَنْ ذَهَبَ الدُّبُّ نَزَلَ ذَلِكَ الْمُدَّعِي عَنْ الشَّجَرَةِ وَأَقْبَلَ
نَحْوَ رَفِيقِهِ وَهُوَ فِي شِدَّةِ الْحَجَلِ . وَسَأَلَهُ عَلَى سَبِيلِ الْمُزَاحِ عَمَّا
قَالَهُ الدُّبُّ فِي أُذُنِهِ . فَقَالَ الثَّانِي : هَذَا دُبٌّ حَكِيمٌ . فَلَقَدْ أَخْبَرَنِي
أَنَّ مَا دَحَ نَفْسِهِ كَذَّابٌ لَا يُصَدِّقُ وَلَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ .

٣٦

الْغُرَابُ وَالْجَرَّةُ

عَطِشَ غُرَابٌ وَأَرَادَ الشُّرْبَ وَطَفِقَ يَبْحَثُ عَنْ مَاءٍ فِي كُلِّ
مَا جَاوَرَهُ مِنَ الْجِبَاهِ . فَخَآبَ سَعْيُهُ وَلَمْ يَجِدْ إِلَّا جَرَّةً فِي قَعْرِهَا
قَلِيلٌ مِنَ الْمَاءِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ لِبُعْدِ غَوْرِهَا وَلِطُولِ عُقْمِهَا .
وَلَكِنَّ الْعَطَشَ أَشْتَدَّ بِهِ . فَأَعْمَلَ فِكْرَهُ فِي تَدْبِيرِ حِيلَةٍ يَرْفَعُ بِهَا الْمَاءَ
إِلَيْهِ مَا دَامَ هُوَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْمَاءِ . وَصَمَّمَ عَلَى الْأَلَّا
يَتْرُكَ الْمَكَانَ حَتَّى يَشْرَبَ مِنْ تِلْكَ الْجَرَّةِ . وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِذَا
صَدَقَ الْعَزْمُ وَضَعَّ السَّبِيلُ .

عِنْدَ ذَلِكَ التَّفَتَّ حَوْلَهُ . فَرَأَى حِجَارَةً صَغِيرَةً كَثِيرَةً . فَذَهَبَ
إِلَيْهِ وَأَخَذَ وَاحِدًا بِمِنْقَارِهِ . وَرَمَاهُ فِي الْجَرَّةِ . فَارْتَفَعَ الْمَاءُ قَلِيلًا .
فَعَادَ وَجَاءَ بِغَيْرِهِ . فَزَادَ ارْتِفَاعُ الْمَاءِ . فَأَدْرَكَ أَنَّهُ إِذَا اسْتَمَرَّ عَلَى
عَمَلِهِ هَذَا وَدَابَّ عَلَيْهِ بَلَغَ غَايَتَهُ وَأَطْفَأَ حَرَارَةَ عَطَشِهِ . فَلَبِثَ
يَنْقُلُ الْحِجَارَةَ وَيَرْمِيهَا فِي جَوْفِ الْجَرَّةِ وَالْمَاءُ يَرْتَفِعُ فِيهَا قَلِيلًا قَلِيلًا

حَتَّى أَمَكَّنَهُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ أَخِيرًا . فَشَرِبَ حَتَّى رَوَى بَعْدَ صَبْرِهِ
وَجِدِّهِ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ جَدَّ وَجَدَ .

٣٧

❦ الدَّجَاجَةُ الَّتِي تَبْيِضُ الذَّهَبَ ❦

كَانَ رَجُلٌ عِنْدَهُ دَجَاجَةٌ . وَكَانَتْ تَبْيِضُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بَيْضَةً
مِنَ الذَّهَبِ . فَيَأْخُذُهَا وَيَشْتَرِي بِهَا مَا يُرِيدُ . وَعَاشَ عَلَى ذَلِكَ
عِيشَةً سَعِيدَةً . وَلَكِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ فِي بَطْنِ الدَّجَاجَةِ كَنْزًا . فَطَمَعَ
فِي أَنْ يَأْخُذَهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً لِيَصِيرَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ . فَأَمْسَكَ الدَّجَاجَةَ
وَشَقَّ بَطْنَهَا . غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَجِدِ الْكَنْزَ الَّذِي كَانَ يُرِيدُهُ . فَتَدَمَّ
عَلَى مَا فَعَلَ . وَقَالَ : إِنَّ الطَّمَعَ هُوَ الَّذِي أَضَاعَ مِنِّي الذَّهَبَ الَّذِي
كَنتُ آخُذُهُ كُلَّ يَوْمٍ وَأَعِيشُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ وَسَعَادَةٍ .

٣٨

❦ الْحِصَانُ وَالذِّئْبُ ❦

كَانَ الْحِصَانُ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ يَعِيشُ فِي الْحَقْلِ يَأْكُلُ الْبَرَسِيمَ
وَالْحَشَائِشَ وَيَتَّقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ حُرًّا مُسْتَرِيحًا مِنَ الشُّغْلِ وَوَضِعِ
اللِّجَامِ فِي فَمِهِ وَالسَّرَجِ فَوْقَ ظَهْرِهِ وَالْقَيْدِ فِي رِجْلَيْهِ حَتَّى سَمِنَ
وَصَارَ حَسَنَ الْمَنْظَرِ قَوِيَّ الْجِسْمِ . فَمَرَّ بِهِ الذِّئْبُ يَوْمًا وَرَأَاهُ عَلَى
هَذِهِ الْحَالِ فَأَرَادَ أَنْ يَفْتَرِسَهُ لِيَأْكُلَ مِنْهُ مَا يُرِيدُ . وَلَكِنَّهُ رَأَى

أَنْ يُفَكِّرَ فِي حِيلَةٍ يَصِلُ بِهَا إِلَى ذَلِكَ . فَذَهَبَ إِلَى الْحِصَانِ وَقَالَ
 لَهُ : إِنَّنِي طَيِّبٌ أَعَالِجُ الْمَرْضَى وَأُعْطِيهِمُ الدَّوَاءَ مَجَّانًا . وَإِنَّنِي أَرَى
 أَنَّكَ وَقَفْتُ مِنْ غَيْرِ لَجَامٍ فِي فَمِكَ وَمِنْ غَيْرِ سَرْجٍ عَلَى ظَهْرِكَ
 وَلَا حِزَامٍ عَلَى بَطْنِكَ وَلَا قَيْدٍ فِي رِجْلَيْكَ . وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ
 بِكَ مَرَضٌ فِي مَعِدَتِكَ فَقَهَمَ الْحِصَانُ أَنَّ الذِّئْبَ يُرِيدُ أَنْ يَحْتَالَ
 عَلَيْهِ فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ . وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَجُلِي بِهَا جُرْحٌ
 مِنْ أَثَرِ الْقَيْدِ الَّذِي كَانَ فِيهَا . فَتَقَدَّمَ الذِّئْبُ لِيَرَى الْجُرْحَ وَيُعَالِجَهُ
 وَهُوَ يَنْوِي أَفْتِرَاسَ الْحِصَانِ . وَلَكِنَّ الْحِصَانَ رَفَسَهُ فِي وَجْهِهِ رَفْسَةً
 أَطَارَتْ أَسْنَانُهُ وَهَشَّمتْ وَجْهَهُ . فَقَرَّ الذِّئْبُ وَقَالَ : إِنَّنِي سَعَيْتُ
 فِي ضَرَرِي بِنَفْسِي لِأَنِّي ادَّعَيْتُ مَا لَا أَعْرِفُ نَاقِيًا أَنْ أَضُرَّ غَيْرِي
 فَعَادَ الضَّرَرُ عَلَيَّ . وَهَذَا جَزَائِي لِأَنَّ الشَّرَّ يُصِيبُ صَاحِبَهُ .

❖ القطار ❖

قَاطِرَةٌ الْحَدِيدِ تَسِيرُ بِالْوَقُودِ
 تُسْرِعُ بِالرُّكَّابِ وَالْمَتَاعِ وَالْبَرِيدِ
 تَنْقُلُهُمْ مِنْ بَلَدٍ لِبَلَدٍ بَعِيدِ
 تُوفِّرُ الْوَقْتَ كَمَا تُبْقِي عَلَى النُّقُودِ
 كَمْ يُخْرِجُ الْعِلْمُ لَنَا مِنْ عَمَلٍ مُفِيدِ

﴿ وَلَا تَصْنَعِ الْمُرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ﴾

لَقَدْ رَمَدَ الثُّعْبَانُ يَوْمًا مِنَ الشِّتَا
وَجَاءَ بِهِ يَسْعَى إِلَى الدَّارِ طَائِشًا
فَلَمَّا أَحَسَّ الْوَحْشُ بِالْدِفِّ حَوْلَهُ
وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ
أَتَاهُ أَبُوهُ عَاجِلًا قَطَّ رَأْسَهُ
وَقَالَ : بُنَى أَحْذَرُ لَيْمًا لِقَيْتِهِ
فَمَرَّ غِلَامٌ وَاسْتَعَدَّ لِنَقْلِهِ
وَأَدْفَأَهُ ، فَانْظُرْ لِقِلَّةِ عَقْلِهِ
وَسَاحَتْ سُومُ الْمَوْتِ فِي الْجِسْمِ كُلِّهِ
عَلَى الْوَلَدِ الْمِسْكِينِ يَبْغِي لِقَتْلِهِ
وَدَاسَ عَلَيْهِ غَاضِبًا بِنَعَالِهِ
وَلَا تَصْنَعِ الْمُرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ

﴿ الطَّائُوسُ ﴾

قَدْ أَظْهَرَ الطَّائُوسُ إِعْجَابَهُ
يَفْتِنُ النَّاطِرَ فِي شَكْلِهِ
لَكِنَّ عَصْفُورًا تَصْدَى لَهُ
وَعَابَ مِنْهُ السَّاقُ فِي عُزِّيْهَا
فَقَامَ مِنْ حَوْلِهَا طَائِرٌ
فَقَالَ : كُلَّ مِنْكُمَا مُعْجَبٌ
لَوْ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى عَيْبِهِمْ
وَاخْتَالَ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْأَسْرِ
بِحُسْنِ رِيْشِ الذَّيْلِ وَالرَّاسِ
بِالذَّمِّ فِي صُحْبٍ وَجُلَاسِ
عَنْ ثَوْبِ رِيْشٍ نَاعِمٍ كَأَيِّ
يَرْمِيْهِمَا بِالْمَنْطِقِ الْقَاسِيِ
وِغَافِلٌ عَنْ عَيْبِهِ نَاسِيِ
مَا عَابَ إِنْسَانٌ عَلَى النَّاسِ

﴿حِكْمٌ وَ أَمْثَالٌ﴾

النَّظَافَةُ مِنَ الْإِيمَانِ - مِنْ جَدٍّ وَ جَدٍّ - الْعَقْلُ السَّلِيمُ فِي الْجَسِمِ
 السَّالِمِ - مِنْ تَأَنِّي نَالِ مَا تَمَنَّى - خَيْرُ الْأَصْحَابِ مِنْ ذَلِكَ عَلَى
 الْخَيْرِ - سُوءُ الْخُلُقِ يُعْدِي - تَنْظِيمُ الْعَمَلِ يُوَفِّرُ نِصْفَ الْوَقْتِ -
 الْعَمَلُ يُجْعَلُ الصَّعْبَ سَهْلًا وَ الْبَطَالَةَ تَجْعَلُ السَّهْلَ صَعْبًا - أَحْسَنُ إِذَا
 أَرَدْتَ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ . مِنْ يَزْرَعُ يَحْصُدُ - الْحَسُودُ لَا يَسُودُ -
 الْعِلْمُ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ عَلَى الْحَجَرِ - فِي التَّأَنِّي السَّلَامَةُ وَ فِي الْعَجَلَةِ
 النَّدَامَةُ - مَنْ شَبَّ عَلَى شَيْءٍ شَابَ عَلَيْهِ - نَحْنُ نُفَكِّرُ وَ اللَّهُ
 يُدِيرُ - مَنْ حَفَرَ لَا خِيَةَ حُفْرَةً وَقَعَ فِيهَا - مَنْ قَلَّ صِدْقُهُ قَلَّ
 صَدِيقُهُ - كَمَا يَدِينُ الْفَتَى يُدَانُ -

﴿الدِّيكُ وَ الثَّعْلُبُ﴾

بَرَزَ الثَّعْلُبُ يَوْمًا فِي شِعَارِ الْوَاعِظِينَا
 فَمَشَى فِي الْأَرْضِ يَهْدِي وَ يَسُبُّ الْمَاكِرِينَ
 وَيَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ إِيَّاهُ الْعَالَمِينَ
 يَا عِبَادَ اللَّهِ تَوْبُوا فَهُوَ كَهْفُ التَّائِبِينَ
 وَارْهَدُوا فِي الطَّيْرِ إِنَّ السَّعِيشَ عَيْشُ الزَّاهِدِينَ

و اطلبوا الديك يؤذن
 فأنتي الديك رسول
 عرض الأمر عايه
 فأجاب الديك : عُذراً
 يا أضل المهتدين
 عن جدودي الصالحين
 عن ذوى التيجان ممن
 أأنهم قالوا - وخير الـ قول قول العارفين - :
 مُخطئ من ظن يوماً أن للشعاب ديناً

٤٤

﴿قصة سيدنا موسى﴾

قوم سيدنا موسى هم اليهود . ويسمون بني إسرائيل لأنهم
 من ذرية إسرائيل الذي هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم
 السلام . ومعنى إسرائيل عبد الله .
 وقد جاء يعقوب مع أولاده وذريته إلى مصر أيام الفراعنة
 لما كان سيدنا يوسف قائماً بتدبير الخزان لملك مصر و عاشوا
 فيها . ولما رأى الفراعنة أن بني إسرائيل قد كثروا خافوا أن
 يزاحموهم في بلادهم فعاملوهم معاملة سيئة و صاروا يذبحون
 الذكور من أولادهم .

وَلَمَّا وُلِدَ سَيِّدُنَا مُوسَى خَافَتْ أُمُّهُ أَنْ يَذْبَحَهُ فِرْعَوْنُ
فَوَضَعَتْهُ فِي صُنْدُوقٍ وَطَلَّتْهُ بِالْقَارِ ثُمَّ أَلْقَتْهُ فِي نَهْرِ النَّيْلِ فَعَامَ عَلَى
وَجْهِ الْمَاءِ حَتَّى اتَّقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ مِنَ النَّهْرِ . وَلَمَّا رَأَتْهُ امْرَأَةٌ
فِرْعَوْنَ فَرِحَتْ بِهِ وَعَرَفَتْ أَنَّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَتْ : لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَدًا . وَلَمَّا كَبِرَ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّ مِنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ فَكَانَ يَخْتَلِطُ بِهِمْ وَيُدَافِعُ عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ قَوْمُهُ . وَقَدْ
رَأَى مَرَّةً رَجُلًا إِسْرَائِيلِيًّا يَتَشَاوَرُ مَعَ رَجُلٍ مِصْرِيٍّ فَأَتَخَّازَ إِلَى
جَانِبِ الْإِسْرَائِيلِيِّ وَضَرَبَ الْمِصْرِيَّ بِقَبْضَةٍ يَدِهِ فَأَمَاتَهُ . وَلَكِنَّهُ
نَدِمَ عَلَى عَمَلِهِ وَخَافَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ فِرْعَوْنُ فَهَرَبَ مِنْ مِصْرَ إِلَى
جِهَةِ تُسْمَى مَدِينَ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ . فَوَجَدَ بِهَا بُدْرًا أَزْدَحَمَ عَلَيْهَا النَّاسُ
لَيْسَتْ قُوا مُوَأَشِيَهُمْ . وَوَجَدَ بَنَتَيْنِ لَا تَسْتَطِيعَانِ السَّقْيَ لَشِدَّةِ الزَّحَامِ
فَاعَا نَهُمَا وَسَقَى لِهَمَا غَنَمَهُمَا ثُمَّ جَلَسَ فِي الظِّلِّ . وَكَانَتِ الْبَنَتَانِ هُمَا
بَنَتَا نَبِيِّ اللَّهِ شُعَيْبٍ . فَلَمَّا رَجَعَتَا إِلَى أَبِيهِمَا أَخْبَرَتَاهُ بِمَا فَعَلَ مُوسَى
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُزَوِّجَهُ أَحَدَى ابْنَتَيْهِ عَلَى أَنْ يَشْتَغَلَ
مَعَهُ أَجِيرًا ثَمَانِي سِنِينَ أَوْ عَشْرًا . فَرَضِيَ مُوسَى بِذَلِكَ وَتَزَوَّجَ
ابْنَتَهُ وَمَكَثَ عَشْرَ سَنَوَاتٍ يُسَاعِدُهُ .

ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ مُوسَى رَسُولًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَقُوِهِ لِيُخَاصَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَذْهَبَ إِلَى مِصْرَ وَدَعَا فِرْعَوْنَ إِلَى

الايان بالله تعالى . فلم يُصغِرْ إلى قوله . فأظهر له موسى المعجزة
و ألقى عصاه فانقلبَت حيةً كبيرةً خاف منها فرعونُ و لكنه قال
لموسى : إنَّ هذا سحرٌ و عندنا من السحرة من يفعلُ مثلَ ذلكَ .
ثمَّ جمعَ السحرة و قال لهم : قد جاءنا ساحرٌ ما رأينا مثله
أبدًا و إنَّكم إن غلبتموه أكرمُتكم . فقالوا : حدِّدْ لنا موعدًا
نُجتمِعُ فيه . فقال لهم : موعدُكم يومُ العيدِ . فجمعَ فرعونُ الناسَ
ليشاهدوا عملَ السحرة و خرج موسى يَتَكَيُّ على عصاه و معه أخوه
هارونُ حتَّى أتى الجمعَ و فرعونُ في مجلسه معَ أشرافِ مملكته .
فقال موسى للسحرة : ابدؤا أنتم . فألقوا جبالهم و عصيهم
فكانت تظهرُ كأنَّها حياتٌ و ثعابينُ . و هى لم تكن كذلك
حقيقةً و لكن هذا وهمٌ .

ثم ألقى موسى عصاه فإذا هى حيةٌ تسعى . و أخذتُ
تأكلُ جميعَ ما عمله السحرة . و عند ذلكَ عرفوا أنَّ عملَ موسى
ليس سحرًا و اعترفوا بأنَّه معجزةٌ من الله فأمنوا و سجدوا لله .
فاما رأى فرعونُ ذلكَ اغتآظَ و قال للسحرة : فلا قِطْعَنَ
أيديكم و أرجلكم من خلافٍ و لأصلِّبَنَّكم في جذوع النخلِ .
فقالوا له : افعلْ ما شئتَ إنا آمنَّا برَبِّنا ليغفرَ لنا خطايانا .

و لما لم يؤمن فرعونُ و استمرَّ هو و قومه في إيذاء بني
إسرائيلَ أمرَ الله موسى أن يخرجَ من مصرَ هو و بنوا إسرائيلَ .

فَسَارُوا فِي الصَّحْرَاءِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ . فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِ حَتَّى أَذْرَكَوهُمْ . فَخَافَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى :
لَا تَخَافُوا إِنَّمَا مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ .

وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ . فَضْرَبَ
مُوسَى الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ أَمَامَهُمْ وَظَهَرَتِ الْأَرْضُ فَمَشَوْا عَلَيْهَا . وَسَارَ
فِرْعَوْنُ وَرَاءَهُمْ هُوَ وَجُنُودُهُ وَلَكِنَّ الْبَحْرَ انْطَبَقَ عَلَيْهِمْ وَغَرِقُوا وَ
نَجَّى اللَّهُ مُوسَى وَقَوْمَهُ .

٤٥

❦ قِصَّةُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ ❦

كَانَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ فِي جِهَةٍ تُسَمَّى أَرْضَ بَابِلَ فِي قَارَةِ آسِيَا
قُرْبَ بِلَادِ الْعَرَبِ . وَكَانَ قَوْمُهُ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ الَّتِي يَصْنَعُونَهَا مِنْ
الْحِجَارَةِ . فَرَأَى سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ أَنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ خَطَأٌ وَأَنَّ الَّذِي
يَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ هُوَ الْإِلَهِ الْحَقُّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي خَلَقَ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَجَمِيعَ مَا فِي الْعَالَمِ .

فَدَعَا قَوْمَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ . وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ هَذِهِ الْأَحْجَارَ الَّتِي
تَعْبُدُونَهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تَنْفَعُ الْضَّرَّ لَا عَنْكُمْ وَلَا عَنْ
نَفْسِهَا . فَمِنْ الْجَهْلِ عِبَادُتُهَا . فَلَمْ يُصْغُوا إِلَى قَوْلِهِ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَقَالُوا : وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ .

فَاتَّهَزَ إِبْرَاهِيمُ وَقَتًا لَمْ يَكُن فِيهِ أَحَدٌ عِنْدَ الْأَصْنَامِ وَ أَخَذَ
فَأَسًا وَ كَسَّرَهَا إِلَّا الصَّنَمَ الْكَبِيرَ فَإِنَّهُ تَرَكَهُ وَ عَاقَ الْفَأْسَ بِرِقَبَتِهِ • فَلَمَّا
وَجَدُوا أَصْنَامَهُمْ مُكَسَّرَةً صَاحُوا وَ غَضِبُوا وَ قَالُوا : مَنْ فَعَلَ هَذَا
بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ • فَقَالَ بَعْضُهُمْ : سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ
لَهُ إِبْرَاهِيمُ • فَأَحْضَرُوهُ وَ سَأَلُوهُ : أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؟
فَارَادَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يُظْهِرَ لَهُمْ جَهْلَهُمْ وَ خَطَأَهُمْ وَ يَسْتَهْزِئَ بِهِمْ •
فَأَشَارَ إِلَى الصَّنَمِ الْكَبِيرِ وَقَالَ : بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ
إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ • فَاعْتَظُوا مِنْ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ وَ تَحَيَّرُوا • لِأَنَّهُمْ
يَعْلَمُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَنْطِقُ • فَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ : أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ • فَتَأَلَّمُوا مِنْ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ
لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ يَسْخَرُ مِنْهُمْ وَ مِنْ أَصْنَامِهِمْ • وَ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يُحْرِقُوهُ •
فَجَمَعُوا لَهُ حَطَبًا كَثِيرًا وَ أَوْقَدُوا النَّارَ وَ أَلْقَوْا سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ فِيهَا • وَ
لَكِنَّ اللَّهَ حَفِظَهُ مِنْهَا وَ جَعَلَهَا بَرْدًا وَ سَلَامًا وَ نَجَّاهُ مِنْ أَعْدَائِهِ وَ هُوَ
ثَابِتٌ عَلَى عَقِيدَتِهِ وَ إِيْمَانِهِ بِاللَّهِ •

وَ مِنْ أَوْلَادِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ الَّذِي مِنْ ذُرِّيَّتِهِ سَيِّدُنَا
مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ • وَ مِنْ أَوْلَادِهِ أَيْضًا إِسْحَاقُ وَ هُوَ جَدُّ سَيِّدِنَا
يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ •

﴿ شَفَقَةُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﴾

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ هُوَ ثَانِي الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ . وَ قَدْ كَانَ عَادِلًا شَدِيدًا فِي تَنْفِيدِ الْأَحْكَامِ . وَ لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ كَانَ رَقِيقَ الْقَلْبِ مُتَوَاضِعًا رَحِيمًا .

فَقَدْ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَ رَعِيَّتِهِ وَ كَانَ الْجَوُّ بَارِدًا فَرَأَى نَارًا تُضِيءُ فِي أَحَدِ الْمَسَاكِينِ فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهَا وَجَدَ امْرَأَةً تَوْقِدُ تَحْتَ قِدْرِ وَبِجَانِبِهَا أَوْلَادُهَا وَ هُمْ يَبْكُونَ وَ يَصِيحُونَ . فَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا وَ عَنْ سَبَبِ بُكَاءِ الْأَطْفَالِ . فَقَالَتْ : إِنَّهُمْ يَصِيحُونَ مِنَ الْجُوعِ . فَقَالَ لَهَا : وَ مَا الَّذِي فِي هَذِهِ الْقَدْرِ ؟ فَقَالَتْ : فِيهَا مَاءٌ أُسْكِتَهُمْ بِهِ وَ أَوْهَمَهُمْ أَنَّ فِيهَا طَعَامًا حَتَّى يَنَامُوا . وَلَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ تَعْرِفُ أَنَّ الَّذِي يُكَلِّمُهَا هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ نَفْسُهُ . فَقَالَتْ : اللَّهُ بَيِّنَنَا وَ بَيِّنَ عُمَرَ ! لَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ عَمَّا يُخَفِّفُ آلَامَنَا . فَقَالَ لَهَا : وَ مِنْ أَيْنَ يَعْلَمُ عُمَرُ بِحَالِكَ ؟ فَقَالَتْ : أَيْتَوَلَّى أَمْرَنَا وَ يَنَامُ عَنَّا ؟ ! فَقَامَ عُمَرُ مِنْ فَوْرِهِ وَ أَحْضَرَ سَمْنًا وَ كَيْسًا مِنَ الدَّقِيقِ حَمَلَهُمَا بِنَفْسِهِ وَ عَادَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَ وَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهَا . ثُمَّ جَلَسَ وَ وَضَعَ مِقْدَارًا مِنَ الدَّقِيقِ وَ مِقْدَارًا مِنَ السَّمْنِ فِي الْقَدْرِ وَ صَارَ يُجَرِّكُهُمَا وَ يَنْفُخُ فِي النَّارِ حَتَّى نَضِجَ الطَّعَامُ ثُمَّ أَفْرَغَهُ فِي صَحْفَةٍ وَ قَدَّمَهُ لِلْأَطْفَالِ .

فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَرَحُوا . فَشَكَرَتْهُ الْمَرَأَةُ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِهِ
وَقَالَتْ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . أَنْتِ أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عُمَرَ . فَقَالَ لَهَا : إِنَّكَ إِذَا جِئْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَدًا وَجَدْتَنِي هُنَاكَ .
ثُمَّ خَرَجَ عُمَرُ وَجَلَسَ قَرِيبًا مِنَ الدَّارِ يَسْمَعُ الْأَطْفَالَ يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ
حَتَّى نَامُوا وَهَدَأُوا . فَقَامَ مُطْمَئِنًّا وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى مَا فَعَلَ .

٤٧

﴿ جَزَاءُ الْوَالِدَيْنِ ﴾

مَالِي مَرَضْتُ وَكَمْ أَقَاسِي مِنَ أَلَمٍ ! وَرَقَدْتُ فِي مَهْدِي وَكَمْ أَشْكُوكُمْ !
أَوَاهُ مِنْ وَجَعٍ أَرَاهُ أَصَابَنِي ! فَهَتَفْتُ : يَا أُمَّاهُ ! قَالَتْ لِي : نَعَمْ !
جَاءَتْ عَلَى عَجَلٍ بِلَوْنٍ شَاحِبٍ وَحَنِينٍ صَوْتٍ هَاجَ مِنْ قَلْبٍ لِقَمٍ .
لَثَمْتُ خُدُودِي رَحْمَةً وَ مَحَبَّةً وَجَرَتْ تَجِيءٌ بَمَا يُخَفِّفُ لِي الْأَلَمَ .
عَادَتْ تُسَلِّينِي بِعَذْبِ حَدِيثِهَا وَتَقْصُّ مِنْ خَبَرِ الْبِلَادِ مَعَ الْأُمَمِ
حَتَّى سَمِعْتُ عَلَى السَّلَامِ ضَجَّةً وَكَلَامَ أَشْخَاصٍ فَوْقًا بِالْقَدَمِ
هَذَا أَبِي وَبِجَنِّهِ رَجُلٌ أَتَى هُوَذَا الطَّبِيبُ لِكِي يُعَالِجَنِي قَدِمَ
قَاسَ الْحَرَارَةَ جَسَّ نَبْضِي بَعْدَهَا وَرَجَالِي الْبُرِّ السَّرِيعَ مِنَ السَّقَمِ
حَضَرَ الدَّوَا ، فَشَرِبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ مُرًّا ، وَ لَكِنْ فِيهِ كَشْفٌ لِلْغَمِّ
فَرِحْتُ لِذَا أُمِّي ، وَدَاعَبَنِي أَبِي فَتَشِطْتُ حَتَّى مِنْ سُرُورِي لَمْ أَنْمِ
هَذَا حَنَانُ الْأُمِّ ، مِنْ أَجْلِ ابْنِهَا وَكَذَا حُبُّ أَبِي ، فَمَا هَذِي النَّعَمُ !
لِجَزَاءِ هَذَا الْحُبِّ مَنِّي طَاعَةٌ وَ مَحَبَّةٌ مَا شَاءَ رَبِّي ذَوَا الْكَرَمِ

﴿ أَهَمُّ الْعِبَادَاتِ ﴾

من أَهَمِّ الْعِبَادَاتِ الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالزَّكَاةُ وَالْحَجُّ .

﴿ الصَّلَاةُ ﴾

الصَّلَاةُ لُغَةً الدُّعَاءُ وَأُصْطِلَاحًا هِيَ الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ الْمَخْصُوصَةُ الْمُفْتَتَحَةُ بِالتَّكْبِيرِ الْمُخْتَتَمَةُ بِالتَّسْلِيمِ .

وُفِرِضَتِ الصَّلَاةُ بِمَكَّةَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَهِيَ لَيْلَةُ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسَنَةِ كَمَا جَرَى عَلَيْهِ النَّوَوِيُّ .

وَالصَّلَاةُ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ . وَقَالَ تَعَالَى : حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ . وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ

ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ . شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا

رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحُجِّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ . وَرَوَى عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ . فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ

الْجَنَّةَ ، وَ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ .

فَمَنْ جَعَدَ الصَّلَاةَ كَفَرَ لثُبُوتِهَا بِدَلِيلٍ قَطْعِيٍّ . وَ قَدْ رَوَى
 الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ جَهَادًا . فَالصَّلَاةُ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ
 مُسْلِمٍ بَالِغٍ عَاقِلٍ سَوَاءٌ كَانَ ذَكَرًا أَمْ أُنْثَى حُرًّا أَمْ عَبْدًا فِي كُلِّ
 يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسُ صَلَوَاتٍ .

﴿ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ ﴾

صَلَاةُ الْجُمُعَةِ فَرَضٌ عَيْنٌ ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ .
 قَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ
 فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .
 فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
 وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .

وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَانِ فَرَضًا وَهِيَ صَلَاةٌ مُسْتَقِيلَةٌ فَلَيْسَتْ
 ظُهْرًا مَقْصُورَةً وَلَهَا سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ أَرْبَعُ رَكْعَاتٍ قَبْلَ الْفَرَضِ
 وَأَرْبَعٌ بَعْدَهُ بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ : الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِلَّا أَرْبَعَةً عَبْدًا مَمْلُوكًا
 أَوْ امْرَأَةً أَوْ صَبِيًّا أَوْ مَرِيضًا .

﴿ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ ﴾

الجماعةُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ لِلرِّجَالِ فِي الصَّلَاةِ الْخَمْسِ . وَقِيلَ هِيَ وَاجِبَةٌ . وَالْجَمَاعَةُ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ . وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعَشْرِينَ دَرَجَةً .

﴿ الصَّوْمُ ﴾

وَصَوْمُ رَمَضَانَ فَرَضُ عَيْنٍ قَدْ ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ . وَقَدْ فُرِضَ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ . قَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . وَقَالَ تَعَالَى : شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ . يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

﴿ الزَّكَاةُ ﴾

أَعْلَمُ أَنَّ الزَّكَاةَ فَرَضُ عَيْنٍ كَالصَّلَاةِ . وَفُرِضَتْ فِي شَوَّالٍ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ . وَالْأَصْلُ فِي وَجُوبِهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ

صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا . وَ قَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ : أَدْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِذَا هُمْ أَطَاعُوا لَذَلِكَ فَأَعْلِمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَذَلِكَ فَأَعْلِمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ .

❖ الْحَجُّ ❖

اعْلَمْ أَنَّ الْحَجَّ فَرَضُ عَيْنٍ فِي الْعُمْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْحَجُّ مَرَّةً وَاحِدَةً فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ . وَثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا .

و لَا يَجِبُ إِلَّا عَلَى الْحُرِّ الْبَالِغِ الْعَاقِلِ الْقَادِرِ عَلَى الزَّادِ وَالرَّاحِلَةِ بِشَرَطٍ أَنْ يَزِيدَ ذَلِكَ عَمَّا يَلْزِمُ لِمَسْكِنِهِ وَمَا يَلْزِمُهُ فِي تَفَقُّهِ الذَّهَابِ وَالْإِيَابِ وَمَا يَلْزِمُ لِعِيَالِهِ إِلَى حِينِ عَوْدَتِهِ مِنَ الْحَجِّ .

وَالْحُجَّاجُ يَزُودُونَ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ وَمَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبْرَهُ الشَّرِيفَ . وَهَذِهِ الزِّيَارَةُ لَيْسَتْ وَاجِبَةً لَكِنَّهَا مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبِ وَأَحْسَنِ الْمُسْتَحَبَّاتِ .

❦ الإِخْوَانُ ❦

تَغَيَّرَتِ الْمَوَدَّةُ وَالْإِخَاءُ وَقَلَّ الصِّدْقُ وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ
وَأَسْلَمَنِي الزَّمَانُ إِلَى صَدِيقٍ كَثِيرِ الْعَذْرِ لَيْسَ لَهُ رِعَاءُ
وَرُبَّ أَخٍ وَفَيْتُ لَهُ وَفَائِي وَلَكِنْ لَا يَدُومُ لَهُ وَفَاءُ
أَخْلَاءُ إِذَا اسْتَعْنَيْتُ عَنْهُمْ وَأَعْدَاءُ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ
يُدِيمُونَ الْمَوَدَّةَ مَا رَأَوْنِي وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ اللَّقَاءُ
فَإِنْ غُيِّبْتُ عَنْ أَحَدٍ قَلَانِي وَعَاقَبَنِي بِمَا فِيهِ أَكْتِفَاءُ
سَيُغْنِيَنِ الذِّى أَغْنَاهُ عَنِّي فَلَا فَقْرٌ يَدُومُ وَلَا ثَرَاءُ
وَكُلُّ مَوَدَّةٍ لِلَّهِ تَصْفُو وَلَا يَصْفُو عَلَى الْفِسْقِ الْإِخَاءُ
وَكُلُّ جِرَاحَةٍ فَلَهَا دَوَاءُ وَخُلِقَ السُّوءُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ
وَلَيْسَ بِدَائِمٍ أَبَدًا نَعِيمٌ كَذَلِكَ الْبُؤْسُ لَيْسَ لَهُ بَقَاءُ
إِذَا أَنْكَرْتُ عَهْدًا مِنْ حَمِيمٍ فِي نَفْسِي التَّكْرُمُ وَالْحَيَاءُ
إِذَا مَا رَأَسُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَلِيٌّ بَدَأَ لَهُمْ مِنَ النَّاسِ الْجَفَاءُ

٥٠

❦ هِجْرَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ❦

❦ مِنْ تَارِيخِ ابْنِ خَلْدُونِ ❦

وَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ صَارَ
لَهُ شِيعَةٌ وَأَنْصَارٌ مِنْ غَيْرِهِمْ وَأَنَّهُ مُجْمِعٌ عَلَى اللَّحَاقِ بِهِمْ وَأَنَّ أَصْحَابَهُ

من المهاجرين سَبَقُوهُ إِلَيْهِمْ تَشَاوَرُوا مَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِهِ وَاجْتَمَعَتْ
 لَذَلِكَ مَشِيخَتُهُمْ فِي دَارِ النَّدْوَةِ وَمَعَهُمْ مَنْ لَا يُعَدُّ مِنْ قُرَيْشٍ فَتَشَاوَرُوا
 فِي حَبْسِهِ وَإِخْرَاجِهِ عَنْهُمْ ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَتَخَيَّرُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ
 مِنْهُمْ فَتَى شَابًّا جَلَدًا فَيَقْتُلُونَهُ جَمِيعًا فَيَتَفَرَّقُ دَمُهُ فِي الْقِبَائِلِ وَلَا يَقْدِرُ
 بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ جَمِيعِهِمْ وَاسْتَعَدُّوا لَذَلِكَ مِنْ لَيْلَتِهِمْ وَجَاءَ
 الْوَحْيُ بِذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَمَّا رَأَى إِرْصَادَهُمْ
 عَلَى بَابِ مَنْزِلِهِ أَمَرَ عَلَى بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَنَامَ عَلَى فِرَاشِهِ وَيَتَوَشَّحَ
 بِبُرْدِهِ ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَمَسَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى
 أَبْصَارِهِمْ وَوَضَعَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ تُرَابًا وَأَقَامُوا طَوْلَ لَيْلَتِهِمْ فَلَمَّا أَصْبَحُوا
 خَرَجَ إِلَيْهِمْ عَلَى فَعَلُوا أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَجَا وَتَوَاعَدَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَأَسْتَأْجَرَ عَبْدُ اللَّهِ
 بْنَ أَرْيَظٍ الدَّوْلِيَّ مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ لِيَدُلَّ بِهِمَا إِلَى الْمَدِينَةِ
 وَيَنْكُبَ عَنِ الطَّرِيقِ الْعُظْمَى . وَكَانَ كَافِرًا وَحَلِيفًا لِلْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ
 لَكِنَّهُمَا وَثَقَا بِأَمْرِهِ وَكَانَ دَلِيلًا بِالطَّرِيقِ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَوْخَةٍ فِي ظَهْرِ دَارِ أَبِي بَكْرِ لَيْلًا وَأَتَيَا الْغَارَ الَّذِي
 فِي جَبَلِ ثَوْرٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ فَدَخَلَا فِيهِ . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي
 بَكْرٍ يَأْتِيهِمَا بِالْأَخْبَارِ وَعَامِرُ بْنُ نُفَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ وَرَاعَى غَنَمَهُ يُرِيحُ
 غَنَمَهُ عَلَيْهِمَا لَيْلًا لِيَأْخُذَا حَاجَتَهُمَا مِنْ لَبْنِهَا وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ

تأتيهما بالطعام و يُعفى عامرٌ بالغنم أثر عبد الله ولما فقدته قريشُ
اتبعوه ومعهم القائف فقف الأثر حتى وقف عند الغار وقال هنا
انقطع الأثر وإذا بنسج العنكبوت على فم الغار فاطمأنوا إلى ذلك
ورجعوا وجعلوا مائة ناقة لمن ردهما عليهم . ثم اتاهما عبد الله بن
أريقط بعد ثلاث براحتيهما فركبا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة
وأَتَتْهُمَا أسماءُ بِسُفْرَةٍ لهما وشَقَّتْ نِطَاقَهَا وربطت السفرة فسميت
ذات النِطَاقَيْنِ . وحمل أبو بكر جميع ماله نحو ستة آلاف درهمٍ
ومروا بِسُرَاقَةٍ بن مالك بن جعشم فأتبعهم ليرُدَّهُم . ولما رآوه دعا
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه في الأرض
فنادى بالأمان وأن يعفوا له وطلب من النبي أن يكتب له كتابا
فكتبه أبو بكر بأمره وسلك الدليل من أسفل مكة على الساحل
من عُسْفَانَ وأَمَجَ وأجاز قُدَيْدًا إلى العَرَجِ ثم إلى قُبَا من عَوَالِي
المدينة ووردوها قريبا من الزوال يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة
خَلَّتْ من ربيع الأول وخرج الأنصار يتلقونه وقد كانوا ينتظرونه
حتى إذا قَلَصَتِ الظلالُ رجعوا إلى بيوتهم فتلقوه مع أبي بكر في ظلِّ
نَخْلَةٍ . ونزل عليه السلام بقُبَا على سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ وقيل على كُثُومِ
بن الهَدْمِ ونزل أبو بكر بالسُّنَحِ في بني الحَرِثِ بن خَزْرَجِ على
حُبَيْبِ بن أَسَدٍ وقيل على خَارِجَةَ بن زَيْدٍ ولحق بهم على رضي الله

عنه من مكة بعد أن ردّ الودائع للناس التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزل معه بقبًا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك أيامًا ثم نهض لما أمر الله وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف . فصلاها في المسجد هناك ورغب إليه رجال بني سالم أن يُقيم عندهم وتبادروا إلى خطام ناقته اغتنامًا لبركته . فقال عليه السلام : خلّوا سبيلها فإنها مأمورة . ثم مشى والأنصار حوَّاليه إلى أن مرَّ بدار بني بياضة فتبادر إليه رجالهم يبتدرون خطام الناقة . فقال : دعوها فإنها مأمورة . ثم مر بدار بني ساعدة فتلقاه رجال وفيهم سعد بن عبادَة و المنذر بن عمرو و دعوه كذلك وقال لهم مثل ما قال للآخرين ثم إلى دار بني حارثة بن الخزرج فتلقاه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة ثم مرَّ ببني عدي بن النجار أخوال عبد المطّلب ففعلوا وقال لهم مثل ذلك إلى أن أتى إلى دار بني مالك بن النجار فبركت ناقته على باب مسجده اليوم وهو يومئذٍ لغلامين منهم في حجر معاذ بن عفراء اسمهما سهل وسهيل وفيه خرب ونخل وقبور للمشرّكين ومربد ثم بركت الناقة وبقى على ظهرها ولم ينزل فقامت ومشّت غير بعيد ولم يثنها ثم التفت خلفها ورجعت إلى مكانها الأول فبركت فيه واستقرت ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وحمل أبو أيوب رحله إلى داره

فَنَزَلَ عَلَيْهِ وَسَالَ عَنْ الْمَرْبِدِ وَ أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا فَاشْتَرَاهُ مِنْ
 بَنِي النَّجَّارِ بَعْدَ أَنْ وَهَبُوهُ إِيَّاهُ فَأَبَى مِنْ قَبُولِهِ ثُمَّ أَمَرَ بِالْقُبُورِ فَنُبِشَتْ
 وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَتْ وَبَنَى الْمَسْجِدَ بِاللَّيْلِ وَجَعَلَ عُضَادَتَيْهِ الْحِجَارَةَ وَ
 سَوَارِيَهُ جُذُوعَ النَّخْلِ وَ سَقْفَهُ الْحَجَرِيدَ وَ عَمَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ حِسْبَةً لِلَّهِ
 عَزَّ وَجَلَّ .

٥١

❦ تَعَفُّفُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ❦

كَانَ أَعْدَلَ بَنِي مَرْوَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ . وَهُوَ ابْنُ
 مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وُلِدَ سَنَةَ سِتِّينَ مِنَ الْهِجْرَةِ حِينَ كَانَ أَبُوهُ وَالِيًا
 عَلَى مِصْرَ . وَكَانَ لَهُ بِجَدِّهِ الْفَارُوقِ أُسْوَةٌ حَسَنَةً . مَا أَخَذَ لِنَفْسِهِ
 وَلَا لِأَوْلَادِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ شَيْئًا . وَكَانَ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ وَفُودَ الشُّعْرَاءُ
 لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ . وَكَانَ يَقُولُ لَا بُسْنَةَ : قُلْ لَهُمْ : إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
 رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . وَمَاتَ عَنْ اثْنَيْ عَشَرَ غَلَامًا لَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ
 شَيْئًا . وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَمَعَهُمْ وَجَعَلَ يُصَوِّبُ نَظْرَهُ فِيهِمْ وَ
 يُصَعِّدُهُ حَتَّى اغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ بِالْدُمُوعِ ثُمَّ قَالَ : بِنَفْسِي فِتْنَةٌ تَرَكْتُكُمْ
 وَلَا مَالَ لَكُمْ . يَا بَنِيَّ إِنِّي خَيْرْتُ نَفْسِي بَيْنَ أَنْ تَفْتَقَرُوا إِلَى آخِرِ
 الْأَبَدِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ أَبُوكُمُ النَّارَ فَاخْتَرْتُ الْأَوَّلَ . يَا بَنِيَّ عَصَمَكُمُ اللَّهُ
 وَرَزَقَكُمُ . وَ قَدْ وَكَلْتُ أَمْرَكُمْ إِلَى اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ
 يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ .

وكان عنده وَقْتِيذٍ مَسْلَمَةٌ بَنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَوَهَبَهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا
لِيُفَرِّقَهَا عَلَى أَوْلَادِهِ وَ قَالَ لَهُ : عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَعَلْتُ . فَقَالَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَوْصِيكَ أَنْ تُفَرِّقَهَا عَلَى مَنْ أَخَذْتَ مِنْهُمْ ظُلْمًا .
فَقَالَ مَسْلَمَةٌ : لَقَدْ جَمَعْتَ عَلَيْنَا قُلُوبًا مُتَفَرِّقَةً وَجَعَلْتَ لَنَا فِي الصَّالِحِينَ
ذِكْرًا . ثُمَّ تُوفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ مِائَةٍ وَوَاحِدَةٍ هِجْرِيَّةٍ . وَمَكَثَ فِي
الْخِلَافَةِ سَنَتَيْنِ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ . كَانَ فِيهَا مُتَحَرِّيًا سِيرَةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ .

٥٢

﴿ سُلْطَانُ الْحَقِّ يَهْرُ سُلْطَانُ الْمَلِكِ ﴾

رَوَى عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَ إِلَى أَبِي
جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَ إِلَى طَاوُسٍ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى فُرْشٍ قَدْ
نُصِّدَتْ لَهُ وَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنْطَاعٌ قَدْ بُسِطَتْ وَ جُلَادٌ بِأَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ
لِيُضْرَبَ رِقَابَ النَّاسِ فَأَوْمَأَ إِلَيْنَا بِالْجُلُوسِ وَ أَطْرَقَ عَنَّا طَوِيلًا . ثُمَّ
التَفْتُ إِلَى ابْنِ طَاوُسٍ فَقَالَ لَهُ : حَدِّثْنِي عَنْ أَبِيكَ ! قَالَ : نَعَمْ .
سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أَشَدَّ
النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَهُ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ فَادْخَلَ عَلَيْهِ الْجُورَ
فِي عَذْلِهِ . قَالَ مَالِكُ : فَضَمَمْتُ ثِيَابِي مُخَافَةً أَنْ يَمْلَأَنِي دَمُهُ . ثُمَّ
التَفْتُ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ فَقَالَ : عِظْنِي يَا ابْنَ طَاوُسٍ : قَالَ : نَعَمْ . أَمَا
سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ - إِلَى قَوْلِهِ - : الَّذِينَ

طَفَعُوا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ
 إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ . قَالَ مَالِكُ : فَضَمَمْتُ ثِيَابِي أَيْضًا مَخَافَةَ أَنْ
 يَمْلَأَنِي دَمُهُ . فَأَمْسَكَ الْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَا ابْنَ طَاوُسٍ نَاوِلْنِي
 الدَّوَاةَ . فَأَمْسَكَ ابْنُ طَاوُسٍ وَلَمْ يَنَاوِلْهُ إِلَّاهَا وَهِيَ فِي يَدِهِ . فَقَالَ :
 مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَنَاوِلْنِيهَا ؟ قَالَ : أَخْشَى أَنْ تَكْتُبَ بِهَا مَعْصِيَةَ لِلَّهِ
 فَأَكُونَ شَرِيكَكَ فِيهَا . فَلَمَّا سَمِعَ الْمَنْصُورُ ذَلِكَ قَالَ : قَوْمًا عَنِّي . قَالَ
 ابْنُ طَاوُسٍ : ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي . قَالَ مَالِكُ : فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ
 لِابْنِ طَاوُسٍ بَعْدَهَا فَضَاه .

❦ قِصَّةُ الرَّضِيعِ وَالسُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ ❦

❦ مِنْ سِيرَةِ صَلَاحِ الدِّينِ الْقَاضِي ابْنِ شَدَّادٍ ❦

إِنَّهُ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ لُصُوصٌ يَدْخُلُونَ إِلَى خِيَامِ الْعَدُوِّ فَيَسْرِقُونَ
 مِنْهُمْ الرِّجَالَ وَكَانَ مِنْ قِصَّتِهِمْ أَنَّهُمْ أَخَذُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ طِفْلاً رَضِيعاً
 لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ . وَسَادَرُوا بِهِ حَتَّى أَتَوْا إِلَى خِيَمَةِ السُّلْطَانِ وَعَرَضُوهُ
 عَلَيْهِ . وَكَانَ كُلُّ مَا يَأْخُذُونَهُ يَعْزِضُونَهُ عَلَيْهِ وَيُعْطِيهِمْ مَا أَخْذُوهُ وَلَمَّا
 فَقَدَتْهُ أُمُّهُ بَاتَتْ مُسْتَعِيشَةً بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ طَوْلَ اللَّيْلِ حَتَّى وَصَلَ خَبَرُهَا
 إِلَى مُلُوكِهِمْ . فَقَالُوا : إِنَّهُ رَحِيمُ الْقَلْبِ وَقَدْ أَذِنَّا لَكَ بِالْخُرُوجِ . فَأَخْرَجْنِي
 وَأَطْلَبِيهِ مِنْهُ فَانْهَ يَرْدُهُ عَلَيْكَ . فَخَرَجَتْ تَسْتَعِيثُ إِلَى الْحَرَسِ فَأَخْبَرَتْهُمْ

بواقعتها . فأطلقوها وأتفدوها إلى السلطان فاقبته وهو راكب وأنا
 في خدمته وفي خدمته خلق عظيم . فبكت بكاءً شديداً ومرتعت
 وجهها في التراب . فسأل عن قصتها فأخبروه فرقاً لها ودمعت عينه
 وأمر باحضار الرضيع فوجدوه قد بيع في السوق فارتدّه وأمر بدفع
 ثمنه إلى المشتري وأخذه منه . ولم يزل واقفاً حتى أحضر الطفل و
 سلم إليها . فأخذته وبكت بكاءً شديداً وضمتها إلى صدرها والناس
 ينظرون إليها ويبكون وأنا واقف في جملتهم فأرضعته ساعة . ثم
 أمر لها فحملت على فرس وألحقت بعسكرهم مع طفلها . فانظر إلى
 هذه الرحمة الشاملة لجنس البشر . اللهم إني أذكرك خلقته رحيمًا فارحمه
 رحمةً من عندك يا ذا الجلال والإكرام ! وانظر إلى شهادة الأعداء
 له بالرافة والكرام .

و ما يحدّث لها ضرائرها والحسن ليس لحقه من منكر

٥٤

﴿أَوَّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ حِينَ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ . وَاللَّهُ لَوْ كَذَبَ النَّاسَ مَا

كَذَبْتُمْ . وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ مَا غَرَرْتُكُمْ . وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ حَقًّا . وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَاللَّهُ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ

وَلْتَبَعُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ . وَلْتَحَاسِبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلْتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ
إِحْسَانًا وَبِالسُّوءِ سُوءًا . وَإِنَّهَا لِلْجَنَّةِ أَبَدًا أَوْ النَّارِ أَبَدًا وَإِنَّكُمْ
لَأَوَّلُ مَنْ أُنْذِرَ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ .

٥٥

❦ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ❦

لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . الْمُسْلِمُ
مَنْ سَلِمَ الْمُسَامُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَهُوَ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى
دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ . مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ . لَا حَسَدَ
إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا وَرَجُلٍ
آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَاكِنَتِهِ فِي الْحَقِّ . يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ فِيهِ
اثْنَتَانِ : الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ . إِنْ مِنْ أَحَبِّكُمْ
إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ
إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ
قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْمُتَفَيِّهُونَ ؟ قَالَ : الْمُتَكَبِّرُونَ . كُلُّكُمْ رَاعٍ
وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ
عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ،
وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .

بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بُئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ وَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي فَنَزَلَ الْبُئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَمِيهِ حَتَّى يَرْتَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فَغَفَرَ لَهُ .

مَنْ يُحَرِّمَ الرَّفْقَ يُحَرِّمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ . خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى وَأَبَدًا بِمَنْ تَعُولُ . إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ فَإِنْ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ . الْقُضَاءُ ثَلَاثَةٌ : وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ فَمَا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ وَجَارٌ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلِ فَهُوَ فِي النَّارِ . لِأَنَّ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَجْبَلَهُ ثُمَّ يَأْتِي الْجِبَلَ فَيَأْتِي بِحُزْمَةٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعُهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَنْعَطَوْهُ أَوْ مَنَعَوْهُ .

حَجَّةُ الْوَدَاعِ ❦

❦ مِنْ تَارِيخِ ابْنِ خَلْدُونِ ❦

ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِي خَمْسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَمَعَهُ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ . وَدَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِأَرْبَعِ خَلُونِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ . وَلَقِيَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

بَصَدَقَاتِ نَجْرَانَ فَحَجَّ مَعَهُ . وَعَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ مَنَاسِكَهُمْ
وخطب الناسَ بَعْرَفَةَ خُطْبَتَهُ الَّتِي بَيْنَ فِيهَا مَا بَيْنَ : حَمْدِ اللَّهِ وَأَثْنِ
عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ
بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا . أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ
عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا وَحَرَمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا .
وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَقَدْ بَلَغْتُ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ
أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا . وَإِنْ كَانَ رَبًّا فَهُوَ مَوْضُوعٌ وَ
لَكُمْ دُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الشَّيْطَانَ
قَدْ يَسَّسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا
سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَقِّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ . أَمَّا بَعْدُ
أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِهِنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا . وَاسْتَوْصُوا
بِالنِّسَاءِ خَيْرًا . فَأَعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَاسْمَعُوا قَوْلِي فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ قَوْلِي
وَتَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اسْتَعَصِمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ
نَبِيِّهِ . أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخُو الْمُسْلِمِ وَ
وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ
إِيَّاهُ عَنْ طَيِّبِ نَفْسٍ فَلَا تَظْلَمُوا أَنْفُسَكُمْ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ . فَذُكِرَ
أَنَّهُمْ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ
اشْهَدْ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْحُجَّةُ تُسَمَّى حُجَّةَ الْبَلَاغِ وَحُجَّةَ الْوَدَاعِ لِأَنَّهُ لَمْ
يُحْجَ بَعْدَهَا . ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي بَقِيَّةِ ذِي الْحِجَّةِ مِنَ الْعَاشِرَةِ .

﴿ خُطْبَةُ عُمَرَ حِينَ وُلِّيَ الْخِلَافَةَ ﴾

صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَاعٍ فَأَمِّنُوا ، اللَّهُمَّ إِنِّي غَالِيظٌ فَذَيِّنِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ بِمُوافَقَةِ الْحَقِّ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَارْزُقْنِي الْغِلْظَةَ وَالشَّدَّةَ عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ الدَّعَارَةِ وَالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ ظَلَمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا أَعْتْدَاءٍ عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي شَجِيحٌ فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ قَصْدًا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ . وَاجْعَلْنِي أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفْضَ الْجَنَاحِ وَلِينَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ فَأَلْهِمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذَكَرَ الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي النَّشَاطَ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا .

﴿ تَوَاضَعُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴾

بَلَغَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ قَوْمًا يُفَضِّلُونَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَوَثَبَ مُغَضِّبًا حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَأُخْبِرُكُمْ عَنِّي وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ . إِنَّهُ لَمَّا تُؤَفِّقِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم ارتدت العرب ومنعت شاتها وبعيرها وأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُقاتل العرب بالوحى والملائكة يمدّه الله بهم وقد اتقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك فانه لا طاقة لك بقتال العرب فقال أبو بكر الصديق: أو كلكم رأيه على هذا؟ فقلنا: نعم. فقال: والله لأن خير من السماء فتخطفني الطير أحب إلى من أن يكون هذا رأيي. ثم صعد المنبر فحمد الله وكبره وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. أيها الناس إن أكثر أعداؤكم وقل عدوكم ركب الشيطان منكم هذا المركب^١. والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون. قوله الحق ووعده الصدق. بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق. وكم من فئة قليلة غابت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين. والله أيها الناس لو أفردت من جميعكم لجاهدوهم في الله حق جهاده حتى أبلي بنفسي عذراً أو أقتل قتلاً. والله أيها الناس لو منعوني عقالاً لجاهدوهم واستعنت عليهم الله وهو خير معين. ثم نزل فجاهد في الله حق جهاده حتى أذغت العرب بالحق.

^١) Zar će vas satana ovako zavesti (zajahati) stoga što je vaših neprijatelja mnogo, a vas malo!

﴿خطبة طارق بن زياد قبل فتوح الأندلس﴾

لما بلغ طارقاً دُنُوَّ لُذْرِيْقٍ قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حثَّ المسلمين على الجهاد ورغَّبهم ثم قال : أيها الناس ! أين المفرُّ ؟ البحرُ من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصِّدْقُ والصبرُ واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أَضِيعُ من الأيتام في مَادِيَةِ اللَّيَّامِ وقد استقبلكم عدوُّكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورةً وأنتم لا وِزْرَ لكم إلا سيوفكم ولا أقوات إلا ما تَسْتَخْصِصُونَهُ من أيدي عدوِّكم . وإن امتدَّتْ بكم الأيامُ على افتقاركم ولم تُنْجِزُوا لكم أمراً ذهبَ رِيحُكم وتعوَّضتِ القلوبُ من رُغْبِها منكم الجُرْأَةُ عليكم فادْفَعُوا عن أنفسكم خِذْلَانِ هذه العاقبة من أمركم بمنَاجَزَةِ هذا الطاغية^١ فقد أَلْقَتْ به إليكم مدينته الحصينة وإنَّ انتهازَ الفرصة فيه لِمُمْكِنٍ إن سَمَحْتُمْ لأنفسكم بالموت . وإنِّي لَمْ أُحْذِرْكم أمراً أنا عنه بِنَجْوَةٍ ولا حملتكم على خُطَّةٍ أرْخَصُ متاعَ فيها النُّفُوسُ إلاَّ أَبْداً بنفسى . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشقِّ قليلاً استمتعتم بالأرْفَةِ الأَلَدِ طويلاً . فلا تَرْغَبُوا بأنفسكم عن نفسى^٢ فما حَظُّكم فيه بأَوْفَرِ مِنْ حَظِّي . واللهُ تعالى وَلِيُّ إِنْجَادِكُمْ على ما يكون لكم ذِكْرًا في

^١) Stupanjem u borbu sa ovim silnikom sačuvajte-sebe, da konačno ne ostanete na cjedilu u ovom vašem poduzeću.

^٢) Ne pretpostavljajte svoj život mome!

الدارين . واعلموا أَنِّي أولُ مجيبٍ إلى ما دعوْتُكم إليه . و إِنِّي عند
مُلْتَقَى الجَمْعَيْنِ حاملٌ بنفسى على طاغيةِ القومِ لذريقٍ فَقَاتِلْهُ إِن شَاءَ
اللهُ تعالى فَاحْمِلُوا مَعِيَ فَإِن هَلَكْتُ بَعْدَهُ فَقَدْ كُفِيتُمْ أَمْرَهُ وَلَمْ يُعْوزْكُمْ
بَطْلٌ عَاقِلٌ تُسْنِدُونَ أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ وَ إِن هَلَكْتُ قَبْلَ وَ صَوْلَى إِلَيْهِ
فَاخْلُفُونِي فِي عَزِيمَتِي هَذِهِ وَاحْمِلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَلَيْهِ وَ اكْتَفُوا اللَّهَ مِنْ فَتْحِ
هَذِهِ الْجَزِيرَةِ بِقِتْلِهِ .

﴿ خُطْبَةُ قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ الْيَادِي ﴾

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! أَسْمَعُوا وَ عُوا ، وَ إِذَا وَعَيْتُمْ فَانْتَفِعُوا ، إِنَّهُ مِنْ
عَاشَ مَاتَ ، وَ مِنْ مَاتَ فَاتَ ، وَ كُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، مَطَرٌ وَ نَبَاتٌ ،
وَ أَرْزَاقٌ وَ أَقْوَاتٌ ، وَ آبَاءٌ وَ أُمَّهَاتٌ ، وَ أَحْيَاءٌ وَ أَمْوَاتٌ ، جَمْعٌ وَ أَشْتَاتٌ ،
وَ آيَاتٌ بَعْدَ آيَاتٍ ، إِنِّ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرًا ، وَ إِنِّ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا ،
لَيْلٌ دَاجٍ ، وَ سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَ أَرْضٌ ذَاتُ فَجَاجٍ ، وَ بِحَارٌ ذَاتُ
أَمْوَاجٍ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَ لَا يَرْجِعُونَ ؟ أَرْضُوا بِالْمُقَامِ
فَأَقَامُوا ، أَمْ تُرِكُوا هُنَاكَ فَنَامُوا ؟ ! أَقَسَمَ قُسٌّ قَسَمًا حَقًّا لَا خَائِنًا
فِيهِ وَ لَا آثِمًا ، إِنَّ لِلَّهِ دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ
وَ نَبِيًّا قَدْ حَانَ حِينُهُ وَ أَظْلَمَ أَوَانُهُ وَ أَدْرَكَكُمْ إِبَانُهُ . فَطُوبَى لِمَنْ
أَدْرَكَهُ فَأَمَّنَ بِهِ وَ هَدَاهُ ! وَ وَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ وَ عَصَاهُ ! ثُمَّ قَالَ : تَبًّا

لَأَرْبَابِ الْعَقْلَةِ ، وَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ، وَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ ! يَا مَعْشَرَ إِيَادِ !
 أَيْنَ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ ، وَ أَيْنَ الْمَرِيضُ وَالْعَوَّادُ ، وَ أَيْنَ الْفَرَاغَةُ الشَّدَادُ ،
 أَيْنَ مِنْ بَنِي وَشَيْدَ ، وَ زَخْرَفَ وَ نَجَّدَ ، أَيْنَ الْمَالُ وَالْوَلَدُ ، أَيْنَ مِنْ
 بَغْيَ وَ طَغْيَ ، وَ جَمَعَ فَأَوْعَى وَ قَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ؟ أَلَمْ يَكُونُوا
 أَكْثَرَ مِنْكُمْ أَمْوَالًا ، وَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ آجَالًا ؟ طَحَنَهُمُ الثَّرَى بِكُلِّكِلِهِ ،
 وَ مَزَقَهُمْ بِطَوَالِهِ ، فَتَلَكَ عِظَامُهُمْ بِأَلِيَّةٍ ، وَ بِيوتُهُمْ خَالِيَةً ، عَمَرَتْهَا الذَّنَابُ
 الْعَاوِيَةُ ، كَلَّا ، بَلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ ، لَيْسَ بِوَالِدٍ وَ لَا مَوْلُودٌ . ثُمَّ
 أَنْشَأَ يَقُولُ :

فِي الْذَاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
 لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لَمُوتٍ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
 وَ رَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ
 لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَّا سَيَّ وَلَا مِنْ الْبَاقِينَ غَابِرُ
 أَتَيْتُ أَنِّي لَا مَحَا... لَهْ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَ عِلْمُهَا

اللُّغَةُ أَلْفَاظٌ يُعَبَّرُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ . وَ اللُّغَاتُ
 كَثِيرَةٌ وَ هِيَ مُخْتَلِفَةٌ مِنْ حَيْثُ الْفُظُّ مُتَّحِدَةٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى أَيْ إِنَّ
 الْمَعْنَى الْوَاحِدَ الَّذِي يَخَالِجُ ضَمَائِرَ النَّاسِ وَاحِدٌ وَلَكِنْ كُلُّ قَوْمٍ يَعْبُرُونَ
 عَنْهُ بِفُظٍّ غَيْرِ لُفْظِ الْآخَرِينَ .

واللغة العربية هي الكلمات التي يعبر بها العرب عن أغراضهم . وقد وصلت إلينا من طريق النقل وحفظها لنا القرآن الكريم والأحاديث الشريفة و ما رواه الثقات من منشور العرب و منظومهم .

ولما خشي أهل العربية من ضياعها بعد أن اختلطوا بالأعاجم دُونُوا مفرداتها في القواميس و جعلوا لها أصولاً و قواعد تحفظها من الخطأ فصارت بذلك علوما تُدرّس و فنونا تُقرأ و تُسمى هذه العلوم العلوم العربية .

فالعلوم العربية هي العلوم التي يتوصل بها إلى عصمة اللسان والقلم عن الخطأ وهي ثلاثة عشر علماً : الصرف ، والنحو ، والرسم ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، والعروض ، والقوافي ، وقرض الشعر ، والانشاء ، والخطابة ، و تاريخ الأدب ، و مثنى اللغة . و أهم هذه العلوم الصرف والنحو .

وللكلمات العربية حالتان ، حالة أفراد و حالة تركيب . فالبحث عنها وهي مفردة لتكون على وزن خاص و هيئة خاصة هو من موضوع علم الصرف . والبحث عنها وهي مركبة مع غيرها ليكون آخرها على ما يقتضيه منهج العرب في كلامهم من رفع أو نصب أو جر أو جزم أو بقاء على حالة من غير تغير هو من موضوع علم النحو .

فالصرف علم نعرف به ما يجب أن تكون عليه بنية الكلمة
قبل انتظامها في الجملة . والنحو علم نعرف به ما يجب أن يكون
عليه آخر الكلمة بعد انتظامها في الجملة .

٦٢

✽ الخليل بن أحمد ✽

✽ ١٠٠ - ١٧٢ هـ * ٧١٩ - ٧٩١ م ✽

هو الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي إمام العربية وسيّد
أهل الأدب قاطبة وهو أول من دَوَّن اللغة العربية وجمعها في
كتاب واحد . وكتابه هذا يُسمّى كتاب العين لأنَّ أولَ
حرف فيه حرف العين . وهو أول من استنبط علم العروض و
أخرجه إلى الوجود . وكان له معرفةٌ بالإيقاع والنغم . وتلك
المعرفة أحدثت له علم العروض فانهما متقاربان جدًّا . و قيل إنه
مر يوماً بسوق الصفارين فسمع دَقْدَقَةً مطارقهم على الطُّسُوتِ فأدَّاه
ذلك إلى تقطيع أبيات الشعر وفتح عليه بعلم العروض . وكان
الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً حليماً ذكياً واتفق العلماء على جلالته و
فضائه و تقدُّمه في علوم العربية .

سَيَبَوِيَه

١٢١ - ١٦١ هـ * ٧٢٠ - ٧٧٩ م

هو أبو بشر عمرو الحارثي وسيبويه لقب بالفارسيّة معناه رائحة التفّاح . و كان من أهل فارس و منشأه بالبصرة . و كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو . كان أخذه عن الخليل و لم يوضع فيه مثل كتابه . قال الجاحظ : أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء أهديه له فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه . فقال : والله ما أهديت إلى شيء أحبّ إلىّ منه . و كان يُقال بالبصرة : قرأ فلان الكتاب فيعلم أنّه كتاب سيبويه . و كان أبو عثمان المازني يقول : من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فلا يستح . و توفي سيبويه بقرية من قرى شيراز .

الأصمعي

هو أبو سعيد عبد الملك الباهلي من أبناء عدنان . و كان عالماً عارفاً بأشعار العرب و آثارها كثير التطوّف في البوادي لاقتباس علومها و تلقّي أخبارها . فهو صاحب غرائب الأشعار و عجائب الأخبار و قدوة الفضلاء و قبلة الأدباء . قد استولى على الغايات في حفظ اللغات و ضبط العلوم الأدبيات . صاحب دين متين و عقل

رصين و كان خاصاً بالرَّشيد آخِذاً لِصِلاتِهِ و لَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ .
و كان هرونُ الرّشيدُ قد استخلصه لِمَجلسه و عُمرَ نِيفاً و تسعين سنة .
ورثاه الحسن بن مالك :

لَا دَرَّ دَرُّ نَبَاتِ الْأَرْضِ إِذْ فَجِعتَ بِالْأَصْمَعِيَّ لَقَدْ أَبَقَتْ لَنَا أَسْفَا
عِشْ مَا بَدَأَ لَكَ فِي الدُّنْيَا فَلَسْتَ تَرَى فِي النَّاسِ مِنْهُ وَلَا فِي عِلْمِهِ خَلْفًا

❦ الجامع الأزهر ❦

لَمَّا فَتَحَ مِصرَ القَائِدُ جَوْهَرُ بِاسْمِ الْمُعِزِّ لِدينِ اللَّهِ الفاطميّ أَنشَأَ
فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْحِجْرَةِ مَدِينَةً شِمَالِ الْقُسْطَاطِ مَدِينَةَ
عُمَرِ وَ بِنِ العاصِ وَ أُسِّسَ فِيهَا مَسْجِدًا يَفُوقُ مَسْجِدَ عُمَرِ وَ اتَّسَاعًا وَ
عَظَمَةً لِيُحَوِّلَ السَّكَّانَ بِذَلِكَ الْعَمَلِ إِلَى مَدِينَتِهِ الْجَدِيدَةِ . وَ أَنشَأَ فِيهِ
مَدْرَسَةً يَوْمُهَا الطُّلَّابُ مِنْ كُلِّ الْبِلَادِ يَتَلَقَّوْنَ عِلْمَ اللُّغَةِ وَ عِلْمَ الدِّينِ .
أَخَذَ هَذَا الْمَسْجِدَ مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ يَزْدَادُ عِمَارَةً وَ فَخَامَةً بِتَوَالِي
مُلُوكِ مِصرَ وَ أُمَرَائِهِمْ وَ كُلُّهُمْ يُضِيفُ إِلَى بِنَائِهِ أَوْ يَحْبِسُ عَلَيْهِ أَوْقَافًا
تَقُومُ بِنَفَقَتِهِ . وَ بُنِيَ فِيهِ أَرْوَاقَةٌ خَاصَّةٌ بِكُلِّ قَبِيلٍ مِنَ النَّاسِ يَقِيمُونَ
فِيهَا لِكَيْ يَنْقَطِعُوا لَطَلِبِ الْعِلْمِ . وَ مَا زَالَ يعلو مَقَامُهُ وَ يَنْبُو صِيَّتُهُ وَ يَزِيدُ
طُلَّابُهُ إِلَى أَنْ أَضْحَى أَكْبَرُ مَدْرَسَةٍ جَامِعَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ تُعَلِّمُ فِيهِ سَائِرَ
الْعِلْمِ الدِّينِيَّةِ وَ الدُّنْيَوِيَّةِ حَتَّى الْمَوْسِيقَى كَانَتْ تُعَلِّمُ فِيهِ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي .

ولم يكن طلب العلم بالأزهر مقصورا على المصريين وحدهم بل كان مباحا للمسلمين القادمين إليه من كل بقاع الأرض تكفلهم الأوقافُ الكثيرة التي حُبست عليه وما زال كذلك بين ارتقاء وانحطاط حتى جاء محمدٌ عليٌّ باشا والى مصر . وأمنَ البلاد وأراح الناس من الفساد فأخذ الأزهر يستعيد زهوه ومقامه وأصبح عددُ طلابه في هذه الأيام أكثر من عشرة آلاف نفس . وتخرج فيه علماء عاملون نشرُوا الفضل والحكمة في جميع الأقطار الإسلامية .

٦٦

❦ الأهرام ❦

كان المصريون القدماء أمهرَ أهل الأرض في صناعاتهم وأعمالهم حتى إنَّ كثيرا منها لا تزال طريقة عماله سرا غامضا إلى الآن . و من ذلك الأهرام الكثيرة التي بنوها في كثيرٍ من الجهات فإنها آيةٌ في إتقان الصنعة وفي الضخامة . وأهمُّ هذه الأبنية أهرام الحيزة الثلاثة العظام . بنى أكبرها الملكُ خوفو منذ أكثر من خمسة آلاف سنة . وهو هو لم يُبْلِه مرور هذه الآلاف من السنين وكان مُجَصَّصا ومَطْلِيًا بدهانٍ أملسٍ منقوشٍ عليه صورٌ وكتابات من كتابتهم الرسمية . والسبب في إقامة هذه الأهرام العظيمة أنهم كانوا يعتقدون أن الأرواح تعود إلى أجسامها يوم القيامة فكانوا يحفظون الأجسام

بمهارة عظيمة و يضعونها في هذه الأماكن . حتى إذا قامت القيامة وجدت كل روح جسمها باقيا فتدخله لتعيد إليه الحياة .

والأحجار التي بُنيت منها هذه الأهرام كبيرة الحجم عظيمة الثقل . لا يستطيع عشرة رجال حمل الواحد منها . و كانوا يقطعونها من جبال المقطم و يُنْشِئُونَ حَدُورًا من الرَّمْلِ بين الجبل و مكان البناء و يُزْلِقُونَهَا عَلَيْهِ ثُمَّ يرفعونها بروافع آليّة و يُثَبِّتُونَهَا في موضعها . و في هَرَم الحِيزَةِ الأكبر جملةٌ عُرف . بعضها صغير و بعضها كبير . و في وَسَطِهِ بئر عميقة يقال إنهم كانوا يتخذونها مِرْوَلَةً يعرفون بها الزمن .

٦٧

❦ العنكبوت و الذبابة ❦

العنكبوت: إني أرى طائرا في الجوّ مرتفعا له طنين يُحاكي أحسن النغم .
 هذى الذبابة قد جاءت تَوَّانِسُنَا أَهْلا وسهلا بمن أهوى من القَدَمِ
الذبابة: ما ذا تُريد بترحيب قصدت به إيداء شخص يودّ العيش في سَلَمٍ
 إني علمت بأن العنكبوت إذا رأى الذبابة لم يَرْتَحِم من القَرَمِ
العنكبوت: هذا كلام عدوٍّ كله حسدٌ لا تسمعيه و كوني عنه في صَمٍ
 لو تنظرين لما هيأتُ من فُرْشٍ ومن طعام لِسِرْتِ اليومَ بالقَدَمِ
الذبابة: لا لا أجيئ لدار انت تسكنها علما بأنك تسعى أن تُريق دمي
 لا حاجة اليوم تدعوني إلى نظري في قلب بيتك فارتكني ولا تلم

العنكبوت: بالعقل قد سُبِّدَتْ والرأى السديد على كل البرية حتى صرت كالعلم
 رَقَّ الجناحان والعينان أبرقتا سُبْحَانَ رَبِّيَ كم أُولَاكٍ مِنْ هِمَمٍ
الذبابه: يا سيدي لك مني الشكر خالصه إذ في مديحك هذا أَلْطَفُ الكَلِمِ
 هَذِي يَدِي أَسْتَمِيعُ العذر عن غَضَبٍ من سوء ظنّ قد يأتيك بالآلم
العنكبوت: هاتِي يَدِيكَ فَقَدْ أَفْلَحْتُ فِي حِيلِي أَنْ آكُلَنَّكَ أَكُلَ الْجَائِعِ النَّهْمِ
 قد غرَّكَ المدح مني وانخدعت به فذُقتَ منه صنوف الحُتْفِ والعَدَمِ
المغزى: إِنْ تَقْبَلِ المدح مِمَّنْ يَسْتَمِيلُكَ فِي شَرِّ عَضِضَتِ بَنَانِ الكَفِّ مِنْ نَدَمِ

﴿ أَأَنْتَ طِفْلٌ ضَرِيرٌ ﴾

يا أُمَّ ما شكل السما... و ما الضياء و ما القمر
 بجمالها تتحدّثون... ولا أرى منها الأثر
 هل هذه الدنيا ظلام...م في ظلام مستمر
 يا أُمَّ مُدِّي لِي يَدِيكَ عسى يزايلني الضجر
 أمشي أخاف تعثراً وسط النهار أو السحر
 لا أهتدي في السير إن طال الطريق وإن قصر
 فالنور عندي كالظلام...م وَالْإِسْطَالَةُ كَالْقِصَرِ
 أمشي أحاذر أن يُصا...م دَفَنِي إِذَا أَخْطُو خَطْرُ
 والأرض عندي يستوى منها البسائط والحفر

عُكَازَتِي هِيَ نَاضِرِي هَلْ فِي جَمَادٍ مِنْ بَصَرٍ
يَجْرِي الصَّغَارُ وَيَلْعَبُونَ وَيَتَعَوْنَ وَلَا ضَرَرُ
يَتَمَتَّعُونَ بِمَا يَرَوْنَ مِنَ الْجَمَالِ الْمُفْتَخَرِ
وَأَنَا ضَرِيرٌ قَاعِدٌ فِي عُقْرِ بَيْتِي مُسْتَقَرٌ
وَيَلَاهُ هَلْ أَقْضَى الْحَيَاةَ بِغَيْرِ عَيْنٍ أَوْ نَظَرٍ
مَاذَا جَنَيْتَ مِنَ الذُّنُوبِ بِبِهَا يَعْكَسُنِي الْقَدَرُ
يَا أُمَّ ضَاقَ بِي الْفَضَا وَ مِنْ الْعَمَى قَلْبِي انْكَسَرَ
يَا أُمَّ ضَمِّينِي إِلَيْكَ فَلَيْسَ غَيْرُكَ مِنْ يَدٍ
يَا أُمَّ لَا تَبْكِي عَلَيَّ رَعَاكَ مِنْ خَلْقِ الْبَشَرِ
اللَّهُ يَلْطِفُ بِي وَيَصْرِفُ مَا تُقَاسِي مِنْ كَدَرٍ

٦٩

❦ من رَحْلَةِ ابْنِ بَطُوطَةَ ❦

❦ وَصْفُ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ❦

ثم وصلنا في أول جمادى الأولى مدينة الإسكندرية حرسها الله تعالى
وهي الشجر المحروس ، والقُطْرُ المأنوس ، العجيبة الشأن ، الأصلحة البُنيان ،
بها ما شئتَ من تحسين وتحصين ، وما أثرَ دنيا ودين . كرمت مغانيها ،
ولطفت معانيها ، وجمعت بين الضخامة والإحكام مبانيها . فهي
الفريدة تجلّي سناها ، والخريدة تجلّي في حلالها . الزاهية بجمالها

المغرب . الجامعة لمفترق المحاسن لتوسطها بين المشرق والمغرب
فكل بديعة بها اجتلاءها ، وكل طرفة فإليها انتهاءها ، وقد وصفها
الناس فأطنبوا ، وصنفوا في عجائبها فأغربوا . وحسب المشرف
إلى ذلك ما سطره أبو عبيد في كتاب المسالك .

﴿ ذِكْرُ أَبْوَابِهَا وَمَرَسَاهَا ﴾

و لمدينة الاسكندرية أربعة أبواب : باب السدرة وإليه
يشرع طريق المغرب ، و باب الرشيد ، و باب البحر ، و الباب الأخضر
وليس يُفتح إلا يوم الجمعة فيخرج الناس منه إلى زيارة القبور ولها
المرسى العظيم الشأن . ولم أر في مراسى الدنيا مثله إلا ما كان من
مرسى كؤلم وقاليقوط ببلاد الهند و مرسى الكفار بسوداق ببلاد
الأتراك و مرسى الزيتون ببلاد الصين .

﴿ ذِكْرُ الْمَنَارِ ﴾

قصدت المنار في هذه الوجهة فرأيت أحد جوانبه متهدماً .
وصفته أنه بناء مُرَبَّع ذاهب في الهواء و بابه مرتفع على الأرض
وإزاء بابه بناء بقدر ارتفاعه وضعت بينهما ألواح خشب يُعبر
عليها إلى بابه فإذا أُزيلت لم يكن له سبيل . و داخل الباب موضع
جلوس حارس المنار . و داخل المنار بيوت كثيرة . و عرض الممر
بداخله تسعة أشبار و عرض المنار من كل جهة من جهاته الأربع

مائة وأربعون شبرا وهو على تَلٍّ مرتفع . و مسافة ما بينه و بين
 المدينة فرسخ واحد في بَرٍّ مستطيل يحيط به البحر من ثلاث جهات
 إلى أن يتصل البحر بسور البلد فلا يمكن التوصل إلى المنار في
 البرِّ إلا من المدينة . وفي هذا البر المتصل بالمنار مقبرة الاسكندرية .
 وقصدت المنار عند عَوْدِي إلى بلاد المغرب عام خمسين وسبعمائة
 فوجدته قد استولى عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله ولا الصعود
 إلى بابه . وكان الملك الناصر رحمه الله قد شرع في بناء منار مثله
 بإزائه فعاقه الموت عن إتمامه .

﴿ ذكر عمود السَّوَارِي ﴾

ومن غرائب هذه المدينة عمود الرُّخَامِ الهائل الذي بخارجها
 المسمَّى عندهم بعمود السَّوَارِي . وهو متوسط في غابة نخل وقد
 امتاز عن شجراتها سُمُوًّا وارتفاعا وهو قطعة واحدة مُحْكَمَةُ النَّحْتِ
 قد أُقيم على قواعد حجارة مُرَبَّعة أمثال الدَّكاكين العظيمة . و لا
 تعرف كيفية وضعه هنالك ولا يُتَحَقَّقُ مَنْ وَضَعَهُ . قال ابنُ جُزَيٍّ :
 أخبرني بعض أشياخي الرِّحَالِين أن أحد الرُّمَاطة بالاسكندرية صعد
 إلى أعلى ذلك العمود ومعه قوسه و كنانته واستقر هنالك وشاع خبره
 فاجتمع الجُمُ الغفير لمشاهدته وطال العجب منه وخَفِيَ على النَّاس وجهه
 احتياله . وأظنه كان خائفا أو طالبَ حاجة فانتج له فعله الوصول

إلى قصده . لغرابه ما أتى به . و كيفية احتياله في صعوده أنه رمى
 بُشَابَةً قد عقد فوقها خيطًا طويلاً و عقد بطرف الخيط حبلاً وثيقاً
 فتجاوزت النشابة أعلى العمود معترضةً عليه و وقعت من الجهة الموازية
 للرامي فصار الخيط معترضاً على أعلى العمود فجذبه حتى توسط الحبل
 أعلى العمود مكان الخيط فأوثقه من إحدى الجهتين في الأرض و تعلق
 به صاعداً من الجهة الأخرى و استقرّ بأعلاه و جَذَبَ الحبلَ و استصحب
 من احتماه فلم يهتد الناس لحياته و عجبوا من شأنه .

﴿ ذِكْرُ الْمَسْجِدِ الْمُقَدَّسِ بِالْقُدْسِ ﴾

هو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحُسْنِ . يقال : إنه
 ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه وإن طوله من شرق إلى غرب
 سبعمائة و ثنتان و خمسون ذراعاً بالذراع المالكية و عرضه من القبلة
 إلى الجوف أربعمائة ذراع و خمس و ثلاثون ذراعاً . وله أبواب
 كثيرة في جهاته الثلاث . و أما الجهة الْقِبْلِيَّةُ منه فلا أعلم بها إلا باباً
 واحداً و هو الذي يدخل منه الإمام . و المسجد كله فضاء غير مُسَقَّفٍ
 إلا المسجد الأقصى فهو مُسَقَّفٌ في النهاية من إحكام العمل و إتقان
 الصنعة مُمَوَّهٌ بالذهب و الأصْيَغَةُ الرائقة و في المسجد مواضع
 سواء مُسَقَّفة .

﴿ ذكر قُبَّةِ الصَّخْرَةِ ﴾

وهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلا قد توفر
 حظُّها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف وهي قائمة على
 نَشْرِ في وسط المسجد يصعد إليها في دَرَج رُخام ولها أربعة أبواب .
 والداير بها مفروش بالرخام أيضا محكم الصنعة و كذلك داخلها .
 وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزَّوَاقَةِ ورائق الصنعة ما يُعجز الواصف
 وأكثر ذلك مُغَشَّى بالذهب فهي تتلأأ نورا وتلمع لمعان البرق .
 يحار بصر متأملها في محاسنها و يقصر لسان رائيها عن تمثيلها وفي
 وَسَطِ القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار فإنَّ النبيَّ صلى
 الله عليه وسلم عرج منها إلى السماء وهي صخرة صمَّاء ارتفاعها
 نحو قامة وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير ارتفاعها نحو قامة أيضا
 يُنزل إليها على دَرَج و هنالك شكل محراب وعلى الصخرة شُبَّا كان
 اثنان محكما العمل يغلطان عليها أحدهما وهو الذي يلي الصخرة من حديد
 بديع الصنعة والثاني من خشب وفي القبة دَرَقَةٌ كبيرة من حديد معلقة
 هنالك والناس يزعمون أنها درقة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه .

﴿ ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني أُمَيَّة ﴾

وهو أعظم مساجد الدنيا احتِفالا واتقنها صناعة وأبدعها
 حسنا وبَهْجَةً وكَمَالاً ولا يعلم له نظير ولا يوجد له شبيهه و كان

الذى تولى بناءه وإتقانه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان .
 ووجهه إلى ملك الروم بـقُسْطَنْطِينِيَّةَ يأمره أن يبعث إليه الصُّنَّاع
 فبعث إليه اثني عشر ألف صانع و كان موضع المسجد كنيسة فلما
 افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد رضى الله عنه من إحدى
 جهاتها بالسيف فانتهى إلى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن
 الجراح رضى الله عنه من الجهة الغربية صلحا فانتهى إلى نصف
 الكنيسة فصنع المسلمون من نصف الكنيسة الذى دخلوه عَنَوةً مسجدا
 وبقي النصف الذى صالحوا كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة
 فى المسجد طاب من الروم أن يبيعوا منه كنيستهم تلك بما شاءوا
 من عِوَض فَأَبَوْا عليه فانتزَعَهَا من أيديهم و كانوا يزعمون أن الذى
 يهدمها يُجَنُّ فذكروا ذلك للوليد فقال أنا أول من يحن فى سبيل الله
 وأخذ الفأس وجعل يهدم بنفسه فلما رأى المسلمون ذلك تتابعوا
 على الهدم و أَكْثَبَ الله زَعْمَ الروم . وزين هذا المسجد بفصوص
 الذهب المعروفة بالفُسَيْفَسَاء تُخَالِطُهَا أنواع الأصبغة الغربية الحُسن .
 و ذَرَعَ المسجد فى الطول من الشرق إلى الغرب مِائَتَا خَطْوَةٍ وَ هِىَ
 ثَلَاثُمِائَةِ ذِرَاعٍ وَ عَرْضُهُ مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْجُوفِ مِائَةٌ وَ خَمْسٌ وَ ثَلَاثُونَ
 خَطْوَةً وَ هِىَ مِائَتَا ذِرَاعٍ . وَ عِدَدُ شَمَسَاتِ الزُّجَاجِ الْمَلَوَّنَةِ الَّتِى فِيهِ
 أَرْبَعٌ وَ سَبْعُونَ وَ بَلَاطَاتُهُ ثَلَاثَةٌ مَسْتَطِيلَةٌ مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ سَعَةً

كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة . و قد قامت على أربع وخمسين سارية و ثمانى أرجل جَصِيَّة تتخلَّها و ست أرجل مرَّخمة مرصعة بالرخام الملون قد صور فيها أشكال محاريب و سواها و هى تُقلُّ قبة الرصاص التى أمام المحراب المسماة بقبة النسر كأنهم شبهوا المسجد نسرا طائرا و القبة رأسه و هى من أعجب مبانى الدنيا و من أى جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر ذاهبة فى الهواء مُنيفة على جميع مبانى البلد . و تُدير بالصَّحن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقية والغربية والجوفية . سعة كل بلاط منها عشر خطى و بها من السَّوارى ثلاث و ثلاثون و من الارجل أربع عشرة . و سعة الصحن مائة ذراع وهو من أجمل المناظر و أتمها حسنا و بها يجتمع أهل المدينة بالعشايا فمن قارى و محدث و ذاهب و يكون انصرافهم بعد العشاء الأخيرة و إذا لقي أحد كبرائهم من الفقهاء و سواهم صاحباً له أسرع كل منهما نحو صاحبه و حطَّ رأسه و فى هذا الصحن ثلاث من القباب إحداها فى غربيه و هى أكبرها و تُسمى قبة عائشة أم المؤمنين و هى قائمة على ثمان سوارى من الرخام مزخرفة بالفصوص و الأصبغة الملونة مُسقَّفة بالرصاص يقال إن مال الجامع كان يُختزن بها . و ذُكر لى أن فوائد مُستغلَّات الجامع و مجابيه نحو خمسة وعشرين ألف دينار ذهباً فى كل سنة . و القبة

الثانية من شَرْقِي الصحن على هيئة الأخرى إلا أنها أصغر منها قائمة على ثمان من سوارى الرخام وتسمى قبة زين العابدين . و القبة الثالثة في وسط الصحن وهى صغيرة مُثَمَّنة من رخام عجيب محكم الالتصاق قائمة على أربع سوار من الرخام الناصع و تحتها شَبَّاكُ حديد في وَسَطه أَنْبُوبُ نُحَاسٍ يَمُجُّ المَاء إلى عُلوٍّ فیرتفع ثم يَنْثَنِي كَأَنَّهُ قَضِيبُ لُحَينٍ . وهم يُسمونه قَفَصَ المَاء و يَسْتَحْسِن الناس وضع أفواههم فيه للشرب و فى الجانب الشرقى من الصحن باب يُفْضَى إلى مسجد بديع الوضع يُسمى مَشْهَدَ على بن أبى طالب رضى الله عنه . ويقابه من الجهة الغربية حيث يلتقى البلاطان الغربى والجوفى موضع يقال إن عائشة رضى الله عنها سَمِعَت الحديث هناك . وفى قبة المسجد المقصورة العُظمى التى يَوْمٌ فيها إمام الشافعية . و فى الركن الشرقى منها إِزَاءَ المحراب خِزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذى وَجَّهه أمير المؤمنين عُثْمَانُ بن عفَّان رضى الله عنه إلى الشام . و تُفْتَحُ تلك الخزانة كلَّ يومٍ جمعةٍ بعد الصلاة فيزدحم الناس على لَثَمِ ذلك المصحف الكريم . وهناك يَحْلِفُ الناسُ غُرَمائهم و مَنْ ادَّعَوْا عليه شيئاً . وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكر أهل التاريخ أنه أوَّلُ محراب وضع فى الاسلام وفيه يَوْمٌ إمام المالكية . وعن يمين المقصورة محراب الحنفيَّة و فيه يَوْمٌ إمامهم و يليه محراب الحنابلة وفيه يَوْمٌ إمامهم . ولهذا

المسجد ثلاثُ صَوَامِعَ . إحداها بشرقيه وهى من بناء الروم وبابها داخل المسجد وبأسفلها مَطْهَرَةٌ وبيوت للوضوء يغتسل فيها المعتكفون والملتزمون للمسجد ويتوضؤون . والصومعة الثانية بغربيّه وهى أيضا من بناء الروم . والصومعة الثالثة بشماله وهى من بناء المسلمين وعدد المؤذنين به سبعون مؤذنا .

❖ ذكر المسجد الحرام شرفه الله وكرّمه ❖

والمسجد الحرام فى وسط مكة وهو متّسع السّاحة طوله من شرقٍ إلى غربٍ أزيد من أربعمئة ذراع . حكى ذلك الأزرقي . وعرضه يقرب من ذلك . والكعبة العظمى فى وسطه ومنظره بديع ومرآه جميل لا يتعاطى اللسان وصف بدائعه ولا يُحيط الوصف بحسن كماله وارتفاع حيطانه نحو عشرين ذراعا . وسقفه على أعمدة طوَال مُصْطَفَّةٍ ثلاثة صفوف بأتقن صناعة وأجملها وقد انتظمت بلاطاته الثلاثة انتظاما عجيبا كأنها بلاط واحد و عدد سواريه الرخامية أربعمئة واحدى وتسعون سارية ما عدا الجصّية التى فى دار النُّدْوَةِ المَزِيدَةِ فى الحرم وهى داخله فى البلاط الآخذ فى الشمال ويقابلها المقامُ مع الرُّكنِ العِراقى . وفضاءها متصل يدخل من هذا البلاط اليه ويتصل بجدار هذا البلاط مساطبٌ تحت قِيسَى حَنَائِيَا يجلس بها المُقَرَّبُونَ والنّسّاخون والخطاطون وفى جدار البلاط الذى يقابله مساطب تماثلها وسائر البلاطات تحت

جُدْرَانِهَا مَسَاطِبُ بِدُونِ حَنَائِيَا وَعِنْدَ بَابِ إِبْرَاهِيمَ مَدْخَلٌ مِنَ الْبِلَاطِ
الْغَرْبِيِّ فِيهِ سَوَارُ جَصِيَّةٍ . وَلِلْخَلِيفَةِ الْمَهْدِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَلِيفَةِ أَبِي جَعْفَرٍ
الْمَنْصُورِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آثَارُ كَرِيمَةٍ فِي تَوْسِيعِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِحْكَامِ
بِنَائِهِ . وَفِي أَعْلَى جِدَارِ الْبِلَاطِ الْغَرْبِيِّ مَكْتُوبٌ : أَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ
الْمَهْدِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْلَحَهُ اللَّهُ بِتَوْسِيعِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِحَاجِّ بَيْتِ اللَّهِ
وَعِمَارَتِهِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِينَ وَمِائَةٍ .

❖ ذِكْرُ الْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ الشَّرِيفَةِ زَادَهَا اللَّهُ تَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا ❖

وَالْكَعْبَةُ مَا ثَلَاثَةٌ فِي وَسْطِ الْمَسْجِدِ وَهِيَ بِنْيَةٌ مَرْبُوعَةٌ ارْتِفَاعُهَا فِي
الْهَوَاءِ مِنَ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا وَمِنْ الْجِهَةِ الرَّابِعَةِ
الَّتِي بَيْنَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَالرَّكْنِ الْيَمَانِيِّ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا . وَ
عَرْضُ صَفْحَتَيْهَا الَّتِي مِنَ الرَّكْنِ الْعِرَاقِيِّ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ أَرْبَعَةٌ وَ
خَمْسُونَ شِبْرًا وَكَذَلِكَ عَرْضُ الصَّفْحَةِ الَّتِي تَقَابِلُهَا مِنَ الرَّكْنِ الْيَمَانِيِّ
إِلَى الرَّكْنِ الشَّامِيِّ وَعَرْضُ صَفْحَتَيْهَا الَّتِي مِنَ الرَّكْنِ الْعِرَاقِيِّ إِلَى الرَّكْنِ
الشَّامِيِّ مِنْ دَاخِلِ الْحَجَرِ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ شِبْرًا وَكَذَلِكَ عَرْضُ الصَّفْحَةِ
الَّتِي تَقَابِلُهَا مِنَ الرَّكْنِ الشَّامِيِّ إِلَى الرَّكْنِ الْعِرَاقِيِّ . وَأَمَّا خَارِجُ
الْحَجَرِ فَانَّهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ شِبْرًا . وَالطَّوَافُ إِنَّمَا هُوَ خَارِجُ الْحَجَرِ .
وَبِنَاؤها بِالْحِجَارَةِ الصُّمِّ السُّمْرِ قَدْ أُصِقَتْ بِأَبْدَعِ الْإِلْصَاقِ وَأَحْكَمِهِ
وَأَشَدَّهُ فَلَا تَغْيِرُهَا الْأَيَّامُ وَلَا تَوْثُرُ فِيهَا الْأَزْمَانُ . وَبَابُ الْكَعْبَةِ

المعظمة في الصفح الذي بين الحجر الأسود والركن العراقي وبين
الحجر الأسود عشرة أشبار . وذلك الموضع هو المسمى بالملتزم
حيث يستجاب الدعاء وارتفاع الباب عن الأرض أحد عشر شبرا و
نصف شبر وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبرا وعرض
الحائط الذي ينطوي عليه خمسة أشبار وهو مصفح بصفائح الفضة بديع
الصناعة وعضاداتاه وعتبته العليا مصفحات بالفضة وله نقارتان
كبيرتان من فضة عليهما قفل و يفتح الباب الكريم في كل يوم
جمعة بعد الصلاة ويفتح في يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسايما . ورسمهم في فتحه أن يضعوا كرسيًا شبه المنبر له درج و
قوائم خشب لها أربع بكرات يجرى الكرسي عليها وياصقونه إلى
جدار الكعبة الشريفة فيكون درجه الاعلى متصلا بالعتبة الكريمة ثم
يصعد كبير الشيبين وبيده المفتاح الكريم ومعه السدنة فيمسكون
السيتر المسبل على باب الكعبة المسمى بالبرقع بخلال ما يفتح رئيسهم
الباب فاذا فتحه قبل العتبة الشريفة ودخل البيت وحده وسد الباب
وأقام قدر ما يركع ركعتين ثم يدخل سائر الشيبين ويسدون
الباب أيضا ويركعون ثم يفتح الباب ويبادر الناس بالدخول وفي
أثناء ذلك يقفون مستقبلين الباب الكريم بأبصار خاشعة وقلوب
ضارعة وأيد مبسوطة إلى الله تعالى فاذا فتح كبروا ونادوا : اللهم

افتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين . وداخل الكعبة المشرفة مفروش بالرخام المجزَّع وحيطانه كذلك وله أعمدة ثلاثة طوال مُفَرَّطَةُ الطول من خشب السَّاج بين كل عمود منها وبين الآخر أربع خُطى وهى متوسطة فى الفضاء داخل الكعبة يقابل الأوسط منها نصف عرض الصفيح الذى بين الركنين العراقى والشامى . وستور الكعبة الشريفة من الحرير الأسود مكتوبٌ فيها بالأبيض وهى تتلأأ عليها نوراً وإشراقاً وتُكسى جميعها من الأعلى إلى الأرض .

﴿ ذكر سفرى إلى مدينة بُلْغَار ﴾

وكنت سمعت بمدينة بُلْغَار فأردت التوجه إليها لأرى ما ذكر عنها من انتهاء قِصر الليل بها وقصر النهار أيضا فى عكس ذلك الفصل وكان بينها وبين محلة السلطان مسيرة عشر فطابت منه من يوصلنى إليها فبعث معى من أوصانى إليها وردنى إليه . واصلتها فى رمضان فلما صلينا المغرب أفطرنا و أذّن بالعشاء فى أثناء إفطارنا فصليناها واصلينا التراوىح والشَّفَع والوتر وطاع الفجر إثر ذلك . وكذلك يقصر النهار بها فى فصل قِصره أيضا وأقمت بها ثلاثا .

﴿ ذكر أرض الظلّة ﴾

و كنت أردت الدخولَ إلى أرض الظلّة و الدخولُ إليها من
 بُلغَارَ و بينهما أربعون يوما ثم أضربت عن ذلك لعِظَمِ المؤونة فيه
 و قِلَّةِ الجَدْوَى و السفر إليها لا يكون إلا في عجالات صغار تجرّها
 كلاب كبار فان تلك المفازة فيها الجليد فلا يثبت قدم الآدميّ و لا
 حافر الدّابة فيها و الكلاب لها الأظفار فتثبت أقدامها في الجليد و لا
 يدخلها إلا الأقوياء من التجّار الذين يكون لأحدهم مائة عجلة أو نحوها
 مُوقَرةً بطعامه و شرابه و حطبه فانها لا شجر فيها و لا حجر و لا مدر
 و الدليل بتلك الأرض هو الكلب الذي قد سار فيها مرارا كثيرة و
 تنتهى قيمته إلى ألف دينار و نحوها و تربط العربّة إلى عنقه و يقرن
 معه ثلاثة من الكلاب و يكون هو المقدّم و تتبعه سائر الكلاب
 بالعربات فاذا وقف وقفت و هذا الكلب لا يضربه صاحبه و لا ينهره .

﴿ ذكر مدينة القُسطنطينيّة ﴾

و هي متناهية في الكبر منقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم المدّ
 و الجزر على شكل وادى سَلا من بلاد المغرب و كانت عليه فيما
 تقدّم قنطرة مبنية فخربت و هو الآن يعبر في القوارب و اسم هذا
 النهر أَبْسُمِي (بفتح الهمزة و إسكان الباء المُوحّدة و ضم السين المهملة
 و كسر الميم و ياء مدّ) و أحد القسمين من المدينة يسمى أَصْطَنْبُولَ

(بفتح الهمزة وإسكان الصاد وفتح الطاء المهملتين و سكون النون و ضم الباء الموحدة و واو مدّ و لام) وهو بالعدوة الشرقية من النهر وفيه سكنى السلطان و أرباب دولته و سائر الناس و أسواقه و شوارعه مفروشة بالصفاح متسعة و أهل كل صناعة على حدة لا يشاركون سواهم و على كل سوق أبواب تسدّ عليه بالليل و أكثر الصناعات و الباعة بها النساء و المدينة فى سفح جبل داخل فى البحر نحو تسعة أميال و عرضه مثل ذلك و أكثر و فى أعلاه قلعة صغيرة و قصر السلطان و السور يُحيط بهذا الجبل و هو مانع لا سبيل لأحد إليه من جهة البحر و فيه نحو ثلاث عشرة قرية عامرة و الكنيسة العظمى هى فى وسط هذا القسم من المدينة و أما القسم الثانى منها فيسمى الغلطة (بغين معجمة و لام و طاء مهملة مفتوحة) و هو بالعدوة الغربية من النهر شبيه برباط الفتح فى قُرْبِهِ من النهر و هذا القسم خاص بنصارى الأفرنج يسكنونه و هم أصناف فمنهم الجنويون و البنادقة و أهل رومية و أهل إفرانسة و حكمهم إلى ملك القسطنطينية يقدم عليهم منهم من يرتضونه و يسمونه القمص و عليهم وظيفة فى كل عام لملك القسطنطينية و ربما استعصوا عليه فيحاربهم حتى يصلح بينهم البأبة و جميعهم أهل تجارة و مرساهم من أعظم المراسى رأيت به نحو مائة جفن من القراقير و سواها من الكبار و أما الصغار فلا تحصى كثرة و أسواق هذا القسم حسنة إلا أن الأقدار غالبية عليها و يشقُّها نهر صغير قدير نجس و كنائسهم قدرة لا خير فيها .

﴿ ذكر جامع دِهلي ﴾

و جامع دِهلي كبير السَّاحة حيطانه وسقفه وفرشه كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة أبدع نحت ماصقة بالرصاص أتقن إصاق ولا خشبة به أصلا وفيه ثلاث عشرة قبة من حجارة ومنبره أيضا من الحجر وله أربعة من الصحنون وفي وسط الجامع العمود الهائل الذي لا يدرى من أى المعادن هو ذكر لي بعض حكمائهم أنه يسمى هَفْت جُوش (بفتح الهاء وسكون الفاء وتاء مَعْلُوةٍ و جيم مضمومة و آخره شين مُعجمة) ومعنى ذلك سبعة معادن وأنه مؤلف منها وقد جُلِّيَ من هذا العمود مقدار السبابة ولذلك المَجْلُو منه بريق عظيم ولا يؤثر فيه الحديد وطوله ثلاثون ذراعا وأدركنا به عِمامة فكان الذى أحاط بدائرته منها ثمانى أذرع وعند الباب الشرقى من أبواب المسجد صَنمان كبيران جدًّا من النحاس مطروحان بالأرض قد ألصقا بالحجارة وَيَطَأُ عليهما كل داخل إلى المسجد أو خارج منه وكان موضع هذا المسجد بُدْخَانَةٌ وهو بيت الأصنام فلما افْتُشِحَتْ جعل مسجداً وفى الصحن الشمالى من المسجد الصومعة التى لا نظير لها فى بلاد الاسلام وهى مبنية بالحجارة الحمر خلافا لحجارة سائر المسجد فانها بيض و حجارة الصومعة منقوشة وهى سامية الارتفاع وتَفَافِيحُها من الذهب الخالص وسعة ممرها بحيث تصعد فيه الفيلة . حدثنى من أثق به

أنه رأى الفيلَ حين بنيت يصعد بالحجارة إلى أعلاها وهي من بناء
السلطان مُعزِّ الدين بن ناصر الدين بن السلطان غياث الدين و أراد
السلطان قطب الدين أن يبني بالصحن الغربي صومعة أعظم منها فبنى
مقدار الثلث منها واخترم دون تمامها وأراد السلطان محمد إتمامها ثم
ترك ذلك تشاءما . و هذه الصومعة من عجائب الدنيا في ضخامتها و
سعة ممرها بحيث تصعدُها ثلاثة من الفيلة متقارنةً وهذا الثلث المبنى
منها مساوٍ لارتفاع جميع الصومعة التي ذكرنا أنها بالصحن الشمالى و
صعدتها مرة فرأيت مُعظم دُور المدينة و عاينت الأسوار على ارتفاعها
و سموها منخطة . و ظهر لى الناس فى أسفلها كأنهم الصبيان الصغار و
يظهر لناظرها من أسفلها أن ارتفاعها ليس بذلك لعظم جرمها و
سعتها و كان السباطان قطب الدين أراد أن يبني أيضا مسجدا
جامعا يسيرى المسماة دار الخلافة فلم يتم منه غير الحائط القبلى
و المحراب و بناءه بالحجارة البيض و السود و الحمر و الخضر
ولو كمل لم يكن له مثل فى البلاد و أراد السلطان محمد إتمامه
و بعث عُرفاء البناء ليقدرُوا النفقة فيه فزعموا أنه ينفق فى إتمامه خمسة
و ثلاثون لَكاً فترك ذلك استكثارا له و أخبرنى بعض خواصه أنه
لم يتركه استكثارا لكنه تشاءم به لما كان السلطان قطب الدين قد
قتل قبل تمامه .

❦ من كتاب ألف ليلة وليلة ❦

حكاية خالد بن عبد الله القسريّ مع الشاب السارق.

ومما يحكى أنّ خالد بن عبد الله القسريّ كان أمير البصرة فجاء إليه جماعة متعلقون بشابّ ذى جمالٍ باهرٍ، وأدبٍ ظاهرٍ، وعقلٍ وافرٍ، وهو حسن الصورة طيب الرائحة، وعليه سكينة ووقار، فقدموه إلى خالد فسألهم عن قصّته، فقالوا: هذا لصٌ أصبناه البارحة في منزلنا، فنظر إليه خالد فأعجبه حسنُ هيئته ونظافته. فقال: خلّوا عنه. ثم دنا منه، وسأله عن قصّته فقال: إنّ القومَ صادقون فيما قالوه والأمر على ما ذكروا. فقال له خالد: ما حملك على ذلك وأنت في هيئةٍ جميلةٍ وصورةٍ حسنةٍ. قال: حملنى على ذلك الطمعُ في الدنيا وقضاء الله سبحانه وتعالى. فقال له خالد: تَكِلْتِكَ أُمُّكَ! أما كان لك في كمالِ عقلك وحسن أدبك زاجرٌ يزجرك عن السرقة. قال: دع عنك هذا أيها الأمير! وامض إلى ما أمر الله تعالى به فذلك بما كسبت يدي، وما الله بظلامٍ للعبيد. فسكت خالد ساعةً يفكر في أمر الفتى، ثم أدناه منه وقال له: إنّ اعترافك على رؤوس الأشهاد قد رابى وأنا ما أظنك سارقا، ولعلّ لك قصّةً غير السرقة فأخبرنى بها.

قال أيها الأمير : لا يَقَعُ في نفسك شيء سوى ما اعترفتُ به عندك
وليس لي قصةٌ أشرحها إلا أني دخلت دار هؤلاء فسرقتُ ما
أمكنني ، فأدركوني ، وأخذوه مني وحملوني إليك . فأمر خالد
بحبسه ، وأمر مناديا ينادي بالبصرة : ألا من أحب أن ينظر إلى
عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغداة إلى المحلّ الفلاني .
فلما استقر الفتى في الحبس ووضعوا في رجليه الحديد تنفّس الصعداء
وأفاض العبرات . وأنشد هذه الابيات :

هَدَدَنِي خَالِدٌ بِقَطْعِ يَدِي إِنْ لَمْ أُبْجِ عِنْدَهُ بِقِصَّتِهَا

فَقُلْتُ : هَيْهَاتَ أَنْ أُبُوحَ بِمَا تَضُمَّنَ الْقَلْبُ مِنْ مَحَبَّتِهَا !

قَطَعُ يَدِي بِالَّذِي اعْتَرَفْتُ بِهِ أَهْوَنُ لِلْقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِهَا

فَسَمِعَ ذَلِكَ الْمُوَكَّلُونَ بِهِ ، فَأَتَوْا خَالِدًا وَ أَخْبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ مِنْهُ . فَلَمَّا
جَنَّ اللَّيْلُ أَمَرَ بِاحْضَارِهِ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَ اسْتَنْطَقَهُ فَرَأَهُ عَاقِلًا
أَدَبِيًا فَطِنًا ظَرِيفًا لَبِيبًا . فَأَمَرَ لَهُ بِطَعَامٍ ، فَأَكَلَ وَ تَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً ،
ثُمَّ قَالَ لَهُ خَالِدٌ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَكَ قِصَّةَ غَيْرِ السَّرْقَةِ فَإِذَا كَانَ الصَّبَاحُ
وَحَضَرَ النَّاسَ وَحَضَرَ الْقَاضِي وَ سَأَلَكَ عَنِ السَّرْقَةِ فَأَنْكِرَهَا وَ اذْكُرْ
مَا يَدْرِي عَنْكَ حَدَّ الْقَطْعِ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« اذْرَوْوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ » ثُمَّ أَمَرَهُ إِلَى السِّجْنِ (وَ أَدْرَكَ شَهْرَ رَازٍ
الصَّبَاحُ فَسَكَتَ عَنِ الْكَلَامِ الْمُبَاحِ) .

(وفي ليلة اثنتين وأربعين وثلاثمائة) قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن خالدًا بعد أن تحدث مع الشاب أمر به إلى السجن فمكث فيه ليلته ، فلما أصبح الصباح حضر الناس ينظرون قطع يد الشاب ، ولم يبقَ أحد في البصرة . ثم استدعى بالقضاة و أمر بإحضار الفتى ، فأقبل يحجل في قيوده ولم يره أحد من الناس إلا بكى عليه ، وارتفعت أصوات النساء بالنحيب ، فأمر القاضي بتسكيت النساء . ثم قال : إن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت مالهم فلعلك سرقت دون النصاب ؟ قال : بل سرقت نصابًا كاملاً . قال : لعلك شريك القوم في شيء منه ؟ قال : بل هو جميعه لهم لا حق لي فيه . فغضب خالد ، و قام إليه بنفسه ، و ضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلاً بهذا البيت :

يريد المرء أن يُعطى مُناه ويأبى الله إلا ما يريدُ

ثم دعا بالجزار ليقطع يده فحضر وأخرج السكين ومد يده و وضع عليها السكين ، فبادرت جارية من وسط النساء عليها أظمارٌ وِسَخَةٌ فصرخت و دمت نفسها عليه ، ثم أسفرت عن وجه كأنه القمر ، و ارتفع في الناس ضجة عظيمة ، و كاد أن يقع بسبب ذلك فتنة طائفة الشرر ، ثم نادى تلك الجارية بأعلى صوتها ناشدتك الله أيها

الأمير! لا تَعْجَلْ بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة؛ ثم دفعت إليه رقعة ففتحها خالد وقرأها فاذا مكتوب فيها هذه الأبيات :

أخالدُ هذا مستهام مُتَمِّمٌ رمته لحاظي عن قِصِّي الحمالق

فأصماه سهمُ اللحظ مني لأَنَّهُ حليف جوى من دأئه غير فائق

أَقَرَّ بما لم يقترفه كأنَّه رأى ذاك خيرا من هتيكة عاشق

فمُهلا عن الصبِّ الكئيب فأنَّه كريم السجيا في الورى غير سارق

فلما قرأ خالد الأبيات تنحى، وانفرد عن الناس وأحضر المرأة،

ثم سألها عن القصة فأخبرته بأن هذا الفتى عاشق لها، وهى عاشقة

له . و إنما أراد زيارتها فتوجه إلى دار أهلها ورمى حجرا فى الدار

ليُعلمها بمجيئه فسمع أبوها وإخوتها صوت الحجر فصعدوا إليه فلما أحسَّ

بهم جمع قماش البيت كله، وأراهم أَنَّهُ سارق سترأ على معشوقته .

فلما رأوه على هذه الحالة أخذوه . وقالوا : هذا سارق، و

أتَّوَّبه إليك فاعترف بالسرقة وأصرَّ على ذلك حتى لا يفضحنى، و

قد ارتكب هذه الأمور من رَمَى نفسه بالسرقة لفرط مروءته، وكرم

نفسه فقال خالد إِنَّهُ لخليق بأن يُسَعَفَ بمراده، ثم استدعى الفتى إليه

فقبله بين عينيه، وأمر باحضار أبى الجارية، وقال له : يا شيخ إنا كُنَّا

عزمنا على إنفاذ الحكم من هذا الفتى بالقطع، و لكنَّ الله عزَّ وجلَّ

قد حفظه من ذلك . و قد أمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده

حفظاً لعرضك و عرض بنتك و صياتكما من العار . و قد أمرت
لابنتك بعشرة آلاف درهم حيث أخبرتنى بحقيقة الأمر . و أنا أسألك
أن تأذن لى فى تزويجها منه ، فقال الشيخ : أيها الأمير قد أذنت لك
فى ذلك . فحمد الله خالد و أثنى عليه ، و خطب خطبة حسنة ، (و أدرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح) .

٧١

❦ من رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ❦

❦ القرآن ❦

جاءنا الخبر المتواتر الذى لا تتطرق إليه الريبة أن النبى صلى
الله عليه وسلم كان فى نشأته و أميته على الحال التى ذكرنا ، و
تواترت أخبار الأمم كافة على أنه جاء بكتاب قال : إنه أنزل
عليه ، وأن ذلك الكتاب هو القرآن المكتوب فى المصاحف ، المحفوظ
فى صدر من عني بحفظه من المسلمين إلى اليوم . كتاب حوى من
أخبار الأمم الماضية ما فيه معتبر للأجيال الحاضرة و المستقبلية ؛ نقيب على
الصحيح منها ، و غادر الأباطيل التى ألحقها الأوهام بها ، و نبه على
وجوه العبرة فيها . حكى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقص علينا من
سيرهم ، و ما كان بينهم و بين أممهم ، و برأهم مما رماهم به أهل
دينهم المعتقدون برسالاتهم .

آخَذَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْمَلَلِ الْمُخْتَلَفَةِ عَلَى مَا أَفْسَدُوا مِنْ عَقَائِدِهِمْ وَمَا
خَلَطُوا فِي أَحْكَامِهِمْ ، وَمَا حَرَّفُوا بِالتَّأْوِيلِ فِي كُتُبِهِمْ . وَشَرَعَ لِلنَّاسِ
أَحْكَامًا تَنْطَبِقُ عَلَى مَصَالِحِهِمْ ، وَظَهَرَتِ الْفَائِدَةُ فِي الْعَمَلِ بِهَا وَ
الْمَحَافِظَةُ عَلَيْهَا ، وَقَامَ بِهَا الْعَدْلُ ، وَانْتَضَمَ بِهَا شَمْلُ الْجَمَاعَةِ مَا كَانَتْ
عِنْدَ حَدِّ مَا قَرَّرَهُ ، ثُمَّ عَظُمَتِ الْمَضَرَّةُ فِي إِهْمَالِهَا وَالانْحِرَافُ عَنْهَا
أَوَّالِبُعْدِهَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي أُوْدِعَتْهُ ، فَفَاقَتْ بِذَلِكَ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ
الْوَضْعِيَّةِ كَمَا يَتَبَيَّنُ لِلنَّازِلِ فِي شَرَائِعِ الْأُمَمِ . ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ بِحُكْمِ
وَمَوَاعِظِ وَآدَابِ تُخَشِّعُ لَهَا الْقُلُوبَ ، وَتَهَشُّ لِاسْتِقْبَالِهَا الْعُقُولُ ،
وَتَنْصَرِفُ وَرَائِهَا الْهَمَمُ ، أَنْصَرَفَ فِي السَّبِيلِ الْأُمَمِ .

نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي عَصْرِ اتَّفَقَ الرُّوَاةُ وَتَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ عَلَى أَنَّهُ
أَرْقَى الْأَعْصَارِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَأَعَزُّهَا مَادَّةً فِي الْفَصَاحَةِ ، وَأَنَّهُ الْمُمْتَازُ
بَيْنَ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَهُ بِوَفْرَةِ رِجَالِ الْبَلَاغَةِ ، وَفِرْسَانِ الْخُطَابَةِ ، وَأَنَّ نَفْسَ
مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تُتَنَافَسُ فِيهِ مِنْ ثَمَارِ الْعَقْلِ وَنَتَائِجِ الْفِطْنَةِ وَالذِّكَاةِ
هُوَ الْغَلَبُ فِي الْقَوْلِ ، وَالسَّبْقُ إِلَى إِصَابَةِ مَكَانِ الْوُجْدَانِ مِنَ الْقُلُوبِ ،
وَمَقَرُّ الْإِذْعَانِ مِنَ الْعُقُولِ ، وَتَفَانِيهِمْ فِي الْمَفَاخِرَةِ بِذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْتَاجُ
إِلَى الْإِطَالَةِ فِي بَيَانِهِ .

تَوَاتَرَ الْخَيْرُ كَذَلِكَ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْحَرَصِ عَلَى مُعَارَضَةِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالتَّيَاسُّدِ هُمُ الْوَسَائِلَ قَرِيبَهَا وَبَعِيدَهَا
لِإِبْطَالِ دَعْوَاهُ وَتَكْذِيبِهِ فِي الْإِخْبَارِ عَنِ اللَّهِ ، وَإِتْيَانِهِمْ فِي ذَلِكَ

على مَبْلَغِ استطاعتهم ، وكان فيهم الملوك الذين تَحْمِلُهُمْ عِزَّةُ الملك
على مُعَانَدَتِهِ ، و الامراء الذين يدعوهم السلطانُ إلى مُنَاوَأَتِهِ ، و
الخطباء و الشعراء و الكُتَّاب الذين يَشْمَخُونَ بِأُنُوفِهِمْ عن مُتَابَعَتِهِ .
و قد اشتدَّ جميع أولئك في مقاومته ، و انْهَالُوا بِقُوَاهِم عليه استكبارا
عن الخضوع ، و تمسُّكا بما كانوا عليه من أديان آبائهم و حِمِيَّةٍ لعقائدهم
و عقائدِ أسلافهم . و هو مع ذلك يُخَطِّئُ آرائهم ، و يُسِفُّهُ أَحْلَامَهُمْ ،
و يحقِّقُ أَصْنَافَهُمْ ، و يدعوهم إلى ما لم تَعْهَدُهُ أَيَّامُهُمْ و لم تَخْفِقْ
لِثَلَّةِ أَعْلَامِهِمْ ، و لا حُجَّةَ له بين يَدَيِ ذلك كُلِّهِ إِلَّا تَحْدِيثَهُمْ
بِالْآيَاتِ بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ أَوْ بَعْشَرِ سُورَةٍ مِنْ
مِثْلِهِ و كان في استطاعتهم أَنْ يَجْمَعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَ الْفُصَحَاءِ وَ
الْبُلْغَاءِ مَا شَاءُوا لِيَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ مِثْلِ مَا أَتَى بِهِ لِيُبْطِلُوا الْحُجَّةَ وَ يُفْحِمُوا
صَاحِبَ الدَّعْوَةِ .

جاءنا الخير المتواتر أَنَّهُ مَعَ طُولِ زَمَنِ التَّحَدِّيِّ ، وَ لَجَاجِ
الْقَوْمِ فِي التَّعَدِّيِّ ، أُصِيبُوا بِالْعَجْزِ ، وَ رَجَعُوا بِالْخَيْبَةِ وَ حَقَّتْ لِلْكِتَابِ
الْعَزِيزِ الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا عَلَى كُلِّ كَلَامٍ .